سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

تصدر من دمشق

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (97) | 28 / 7 /2013

أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

سوريا أمام مفترق طرق

سوريا: تدفق متزايد للاجئين ومساعدات أوروبية جديدة للأردن

حذّر المفوض السامي لشؤون اللاجئين في الأمم المتحدة، انطونيو غوتيريس، من احتمال تدفق اللاجئين السوريين على الدول الغربية، بما فيها بريطانيا والولايات المتحدة، بعد أن غمروا الدول المجاورة وبشكل فاق قدراتها على استيعابهم.

وقال غوتيريس، لصحيفة «ذي غارديان» يوم الخميس: أن «الوضع في سوريا لم يعد مجرد أزمة إنسانية، وما لم يتم ايجاد حل للنزاع الدائر فيها في غضون أشهر، فإن الأمم المتحدة تتطلع لإعادة توطين عشرات الآلاف من اللاجئين السوريين في البلدان الأكثر قدرة على تحمل تكاليف إستضافتهم، بما فيها بريطانيا»، مشيراً إلى أن ألمانيا «عرضت استقبال خمسة آلاف لاجئ سوري فيما كانت عروض الدول الغربية الأخرى محدودة للغاية». وأضاف: «نحن نواجه كارثة جديدة في الشرق الأوسط هي أكثر من مجرد أزمة انسانية وأكثر من مجرد أزمة إقليمية، وصارت تمثل تهديداً حقيقياً للسلم والأمن الدوليين، ونشهد بالفعل تصاعداً كبيراً في الحوادث الأمنية في العراق ولبنان، في حين يواجه الأردن وضعاً اقتصادياً صعباً».

وفي الأردن وجه الاتحاد الأوروبي 96 مليون يورو لمساعدة هذا البلد على مواجهة التدفق المتواصل للاجئين السوريين، ويسعى إلى إعداد حزمة جديدة تقدر ب 60 مليون يورو لمساعدة الجماعات المستضيفة، وفقا لمذكرة إعلامية أصدرتها بعثة الاتحاد الأوروبي في الأردن.

ويلعب الاردن دوراً حيوياً في تقديم الدعم لعدد كبير من السوريين الذين يلتمسون اللجوء في البلاد. وقد تم تسجيل أكثر من 502.196 لاجئ أو الذين من المنتظر تسجيلهم لدى المفوضية السامية للاجئين اعتبارا من 22 يوليو / تموز، من بينهم 132.176 يقيمون في مخيم الزعتري ويتوزع 370.020 لاجئ في مجموع الأردن.

وحتى الآن، وجهت المفوضية الأوروبية 96 مليون يورو إلى الأردن من خلال آليات المساعدات الإنسانية والاستجابة للأزمات والتنمية بتقديم مساعدات إنسانية تركز على ميادين مثل الصحة، والمساعدات الغذائية، وتوفير المأوى، في حين تركز المساعدات الإنمائية على التعليم الذي يستهدف الأطفال السوريين والمجتمعات المستضيفة على حد سواء.

ويعمل الاتحاد الأوروبي على تحضير حزمة جديدة بقيمة 60 مليون يورو لدعم المجتمعات المحلية المستضيفة في الأردن: وسوف تسمح هذه المساهمة الإضافية بتقديم دعم لميزانية الأردن في قطاع التعليم (30 مليون يورو)، والخدمات البلدية، ودعم القطاع الصحي من خلال وكالات الأمم المتحدة، وتعزيز الفرص الاقتصادية وخلق وظائف.

في يوم 24 يونيو / حزيران أعلن رئيس المفوضية الأوروبية، خوسيه مانويل باروسو، والممثلة السامية للاتحاد الأوروبي، كاترين أشتون عن دعم إضافي من الاتحاد الأوروبي بقيمة 400 مليون يورو موجه للاحتياجات الإنسانية والتنمية في سوريا والبلدان المجاورة. ورصد الاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء حتى الآن أكثر من 1. 25 مليار يورو للاستجابة للأزمة في سوريا وامتدادها إلى البلدان المجاورة. وفي حين تم رصد الجزء الأكبر من الأموال للتدخلات الإنسانية داخل سوريا، خصصت كمية متزايدة من هذه الاعتمادات المالية لتخفيف الضغط على الدول المجاورة، لا سيما الأردن ولبنان.

من جهة أخرى حذّر تقرير عالمي نشرته دورية "لانسيت" الطبية الشهر الفائت، وشارك في إعداده أستاذ العلوم الصحية في الجامعة الأميركية في بيروت فؤاد فؤاد، من أن أزمة اللاجئين السوريين قد تتحوّل كارثة إقليمية.

وقد ورد في تقرير "لانسيت" الذي شارك في إعداده آدم كوتس من جامعة كايمبريدج: "يؤدّي تدفق اللاجئين الذين قد يبلغ عددهم 3، 5 ملايين نسمة بحلول نهاية السنة الحالية، وفق تقديرات الأمم المتحدة، إلى شل منظومة الصحة العامة في البلدان المجاورة ويمكن أن يتسبّب بانهيارها".

أضاف التقرير أن كل الخدمات العامة في لبنان تتعرّض لضغوط شديدة. فعلى سبيل المثال، تشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أنه بحلول نهاية 2013، سيصل عدد التلامذة السوريين في المدارس الرسمية في لبنان إلى 450 ألفاً في مقابل 350 ألف لبناني فقط، كما جاء في التقرير.

فضلاً عن ذلك، تتراجع الأجور والاستثمارات الأجنبية، وتعجز المرافق في المدن والإمدادات المائية عن تلبية الحاجات، كما أن المدارس ومنشآت الرعاية الصحية تعاني الاكتظاظ. وعلى الرغم من توافر خدمات الرعاية الصحية الأولية والثانوية للسوريين في لبنان، يجد اللاجئون أنفسهم مضطرين إلى دفع مبالغ نقدية طائلة تتخطّى الإمكانات المادّية لعدد كبير منهم.

وفي الإطار عينه، حذّر موجز للسياسات صادر عن معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية من التداعيات الاقتصادية السلبية التي يمكن أن تترتّب على لبنان جراء الإدارة السيئة لأزمة اللاجئين السوريين.

وقد استعرض موجز السياسات النتائج التي توصّلت إليها دراسة أجريت عن تأثير اللجوء السوري القسري إلى لبنان وردود الفعل عليه. ويستند في هذا الإطار إلى عمل ميداني في قرية ببنين السنية وإلى استطلاع آراء على صعيد البلاد شمل عيّنة تمثيلية من 900 شخص. والدراسة هي من إعداد المعهد النروجي للدراسات الدولية التطبيقية (Fafo) الذي يُصدر بحوثاً في السياسات مستندة إلى الأدلّة.

وورد في الدراسة أن نحو 570 ألف لاجئ سوري كانوا قد تسجّلوا رسمياً أو ينتظرون تسجيلهم لدى المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بحلول نهاية حزيران 2013، مع العلم أن تقديرات الحكومة اللبنانية التي تشمل العمّال المهاجرين تشير إلى وجود أكثر من مليون سوري في لبنان. والجدير ذكره أن اللاجئين غير المسجّلين ليسوا مخوّلين الحصول على مساعدات من الأمم المتحدة، ما يتسبّب بمزيد من الضغوط على الخدمات والمجتمعات المحلية.

وخلصت الدراسة إلى أن أوجه التفاوت الاقتصادي الناجمة عن عدم المساواة في الفرص المعيشية، تولّد استياء لدى اللبنانيين من اللاجئين السوريين ومواقف متناقضة تجاههم، مشيرةً إلى أن "الإقصاء الاقتصادي وفقدان الأمل بالمستقبل يمكن أن يؤدّيا إلى زيادة تجنيد الشباب في المجموعات القتالية، بما يقود إلى ارتفاع احتمالات الحرب في لبنان".

هيومن رايتس ووتش: مصر تعتقل لاجئين سوريين دون توجيه اتهام لهم وتهدد بترحيلهم

قالت منظمة هيومن رايتس ووتش المعنية بحقوق الإنسان يوم الخميس أن مصر تعتقل لاجئين سوريين دون توجيه اتهام وتهدد بترحيلهم في مناخ من العداء المتزايد منذ عزل الجيش الرئيس محمد مرسي أوائل الشهر الحالي.

ويشكو كثيرون من بين نحو 90 ألف سوري جاءوا إلى مصر هرباً من الحرب الاهلية في بلادهم من تعرضهم لمضايقات منذ عزل مرسي في الثالث من تموز / يوليو ويخشون من أن يكونوا ضحية للاضطرابات في مصر.

وتسببت تقارير إعلامية مكثفة وتأكيدات حكومية على أن أجانب تسللوا إلى مصر ويشاركون في أعمال العنف في إذكاء مشاعر انعدام الثقة بهؤلاء على نطاق واسع.

وقالت هيومن رايتس ووتش التي مقرها نيويورك أن الشرطة المصرية اعتقلت 72 سورياً وتسعة فتية يومي 19 و20 تموز / يوليو فقط بينهم مسجلون من طالبي اللجوء وتسعة لديهم تأشيرات سارية أو تصاريح إقامة. وتم تهديد 14 على الأقل بترحيلهم.

وطالبت هيومن رايتس ووتش السلطات المصرية بوقف الاعتقالات التي وصفتها بـ"التعسفية" بحق السوريين وتهديدهم بالترحيل. وأكدت المنظمة، أن "على السلطات المصرية أن تطلق سراح المعتقلين السوريين، ما لم توجّه إليهم تهماً بارتكابهم جريمة يعترف بها القانون المصري، وأن لا تقوم بترحيل السوريين الذين يحملون تأشيرات دخول أو طالبي اللجوء قبل إجراء مراجعة حيادية لأوضاعهم".

وقال نديم حوري مدير إدارة الشرق الاوسط وشمال افريقيا بهيومن رايتس ووتش أن "المناخ السياسي المتوتر ليس ذريعة لأن يمسك ضباط الشرطة والجيش بعشرات الرجال والفتية السوريين من المواصلات العامة ويزجوا بهم في السجون دون اعتبار لحقوقهم. "

وأعربت المنظمة عن قلقها من أن "يتم ترحيل طالبي لجوء سوريين من دون تدقيق عادل بطلباتهم كما ينص القانون الدولي"، مشيرةً إلى أنه "على السلطات المصرية أن تسمح، على الأقل لمحامين وموظفين في الوكالة الأممية الوصول إلى السوريين المعتقلين لضمان إلا يكون طالب لجوء بينهم".

وقال مسؤول بالخارجية المصرية أن موقف مصر لم يتغير من السوريين الموجودين في البلاد.

وأضاف "السوريون الذين يعيشون في مصر ليسوا مستهدفين بأي إجراءات خاصة ما عدا بضعة أشخاص تم القبض عليهم لانتهاكهم القانون بشكل واضح. "

وكان الرئيس المصري المعزول قد أعلن الشهر الماضي قطع العلاقات الدبلوماسية مع سوريا وتحدث بعض أنصاره علناً عن الجهاد ضد القوات الموالية للرئيس بشار الأسد.

لكن الحكومة الجديدة المدعومة من الجيش نأت بنفسها عن موقف مرسي مشيرة إلى رغبتها في العودة إلى دور أكثر حيادية.

وخلال حكم مرسي كان يسمح للسوريين بدخول مصر بدون تأشيرة لكن الوضع تغير الآن ورفضت السلطات دخول مئات بعد وصولهم إلى المطار بدون تصاريح أمنية.

وقال محمد الديري رئيس مكتب هيومن رايتس ووتش في مصر أن المنظمة طلبت من السلطات وقف الترحيل وحث مصر على مواصلة توفير الحماية للسوريين.

أوجاع وطن

لاجئو سوريا
لا عودة إلى الوطن

أدت الأوضاع البائسة في المنطقة على مدى العامين الماضيين إلى نشر حالة حزن وعدم استقرار في المجتمعات، ومن المرجح أن يستمر حالها هذا لوقت طويل في ظل هذه الحرب المستعرة.

عودة اللاجئين السوريين إلى ديارهم هي واحدة من الأساطير التي تتمنى الحكومات أن تراها تتحقق، علّها تتحرر من ضغوط تكاليف مساعدة النازحين، والصراع مع الرأي العام الرافض لوجودهم.

لا عودة

والحقيقة هي أن العديد من اللاجئين لن يعودوا إلى ديارهم أبداً، وحتى إن فعلوا، فسيكون ذلك بعد سنوات طويلة.

هذا الواقع ينطبق بشكل تدريجي على الدول التي تستضيف لاجئين سوريين، في الوقت الذي يبدو فيه أن الحرب في سوريا مستمرة وأن أفق انفراج الأزمة في البلاد مسدود.

حتى اللحظة، ليس باستطاعة أي من الطرفين تحقيق الفوز الكلي، والشيء الوحيد الواضح عن الصراع هو أنه سوف يستمر بتشريد مئات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال.

نحو ربع سكان سوريا، فروا إلى مخيمات في البلدان المجاورة، أو تركوا منازلهم في مناطق الحرب المحفوفة بالمخاطر، لإيجاد ملاذ في مناطق يفترض أنها آمنة، إنما من المحتمل أن تتحول إلى جبهة في أي لحظة.

مشكلة إنسانية

واعتبرت صحيفة الـ «غارديان» البريطانية أن هذا الوضع يؤدي إلى مشكلة إنسانية صعبة تدمر أو على الأقل تضر حياة الناس، ويفرض أزمة سياسية تلوح في الأفق، حيث أن هذه التحولات السكانية تهدد استقرار المنطقة المتوترة بالفعل.

يقول المثل الفرنسي «لا شيء يطول أكثر من المؤقت»، وهذا ينطبق على سوريا لأن تطور الترتيبات الطارئة في العامين الماضيين أدى إلى مجتمعات هشة، حزينة ومختلة وظيفياً.

اللاجئون في مختلف الدول

مخيم الزعتري في الأردن، الذي أنشئ قبل عام، هو الآن من أكبر مدن البلاد، أو بعبارة أخرى، يبدو وكأنه مدينة درعا التي يأتي منها معظم اللاجئين.

في أجزاء من تركيا، الأسر السورية اللاجئة تنجب المزيد من الأطفال، وترسل المزيد منهم إلى المدارس المحلية، في المناطق الحدودية ذات الكثافة السكانية المنخفضة. في مصر، يواجه اللاجئون من الطبقة المتوسطة الذين وصلوا الى القاهرة وغيرها من المدن الكثير من المضايقات، نتيجة الانقسامات السياسية الخاصة في البلاد وليس لأي شيء فعلوه.

كرم الضيافة

واعتبرت الغارديان أن هذه المعاناة لا تعني أن الترتيبات في البلدان المضيفة ليست سخية، أو أن المنظمات الدولية مثل مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR) لم تقم بعمل لائق، بل أن الحياة في هذا النوع من المنفى بائسة اساساً.

صحيح أن لجوء السوريين إلى دول مضيفة يعني أنهم لن يجوعوا، إلا أنهم لا يملكون وظائف أو قيمة، وعلى الرغم من أن الأمن الشخصي أفضل في هذه الدول بعيداً عن ساحات الصراع، إلا أنه أبعد ما يكون عن الكمال.

الاستفادة من التجربة

لبنان تعلم من تجربته الخاصة، فقد أدرك أن الفلسطينيين الذين لجأوا إلى أراضيه بدأوا بتشكيل تهديد على أمنه، بعد أن انخرطوا في أدوار سياسية أدت في جزء منها إلى اندلاع الحرب الأهلية.

عودة هذه الحرب صار هاجساً للبنانيين الذين يتخوفون من تأثير العلاقات الشائكة بين السنة والشيعة على بلادهم من جراء هذا التدفق، في الأردن، هناك ذكريات مشابهة عن كيف أدت الاشتباكات مع منظمة التحرير الفلسطينية إلى حرب داخلية مؤلمة.

وفي الوقت الذي تواصل فيه إيران ودول الخليج تغذية الصراع السوري بالمال والسلاح، هناك استنتاج لا مفر منه: وجود اللاجئين يتطلب خطة، لكن هذه الخطة غير موجودة.

منظمة إغاثة بريطانية:
عائلات سورية لا ترى الخبز لـ 6 أيام

تستنفر منظمات وهيئات خيرية بريطانية من أجل إغاثة ملايين المنكوبين السوريين، في الوقت الذي تزداد فيه الأوضاع الانسانية سوءاً مع التدهور الاقتصادي السريع والمستمر في سوريا، والذي أدى إلى انهيار العملة المحلية مع تضاعف في الأسعار ودفع بملايين السوريين إلى الهبوط دون خط الفقر، فضلاً عن أكثر من خمسة ملايين تركوا بيوتهم وهربوا منها.

ووصف مسؤول في منظمة إغاثية بريطانية تعمل منذ عشرات السنين ما يجري في سوريا بأنه "الكارثة الإنسانية الأسوأ التي يتم التعامل معها"، مشيراً في حديثه لـ"العربية. نت" إلى أن "عمال الإغاثة كانوا يصلون إلى عائلات في سوريا لم تحصل على الخبز ولا الماء لستة أو لسبعة أيام متتالية".

وقال عثمان مقبل، المدير العام لمنظمة "هيومن أبيل إنترناشيونال" وهي منظمة بريطانية تطلق على نفسها بالعربية اسم "هيئة الأعمال الخيرية"، قال أن "سوريا تشهد كارثة إنسانية وبيئية واقتصادية"، مشيراً إلى أن كل الهيئات الإغاثية في العالم أصبحت منشغلة بتقديم المعونات والمساعدات للسوريين، ومع ذلك فإن الحاجات المطلوبة أكبر بكثير مما يتم تأمينه بالفعل.

وأضاف مقبل في حديثه لـ"العربية. نت" أن الكارثة في سوريا أسوأ من مجاعة الصومال، ومصيبة تسونامي، وزلزال باكستان، مؤكداً أن ما شاهده في سوريا لم يشاهده في كل تلك المناطق من قبل.

وتابع: "هذه أسوأ كارثة إنسانية يواجهها العالم، وأسوأ كارثة نتعامل معها في هيئة الأعمال الخيرية منذ بدأنا قبل أكثر من ثلاثين عاماً".

وبحسب مقبل فإن ثمة أمرين يميزان الأزمة السورية، الأول هو انعدام الأمن، حيث أن كافة عمال الإغاثة مهددون بالقتل أو التعرض للقصف، وربما الاعتقال خلال أداء مهامهم، أما الأمر الثاني، فهو أن الأزمة مستمرة ومتفاقمة ويزداد حجمها يومياً، ولذلك فإن حجم المنكوبين الجدد يومياً أكبر من

حجم من تصل إليهم منظمات الإغاثة والجمعيات الخيرية.

وقال مقبل أن "هيئة الأعمال الخيرية" التي يديرها أطلقت أكبر حملة إغاثية في تاريخها لإنقاذ من يمكن إنقاذه من الشعب السوري، مشيراً إلى أنه في بداية شهر رمضان تم إرسال 43 شاحنة إغاثة، تتضمن مليون كيلو من الطحين، من بريطانيا، وتم توزيعها على 15 مدينة في سوريا.

وأشار إلى أن القيمة الاجمالية لما تم إرساله من مساعدات في أيام رمضان الأولى بلغ 600 ألف دولار. فيما يجري العمل على توزيع 40 ألف سلة غذائية على 40 ألف عائلة سورية بقيمة إجمالية ستبلغ 1. 5 مليون دولار قبل نهاية رمضان الحالي.

وفيما تتدفق المساعدات على المنكوبين داخل سوريا، واللاجئين في الخارج، فإن أحدث الدراسات تقول أن خسائر الاقتصاد السوري منذ بدأت الثورة السورية وبدأ النظام معها عمليات القمع تجاوز 84. 4 مليار دولار، فيما تقول التقديرات أن النظام أنفق على السلاح والذخيرة التي استخدمها في أعمال القمع أكثر من سبعة مليارات دولار.

وبحسب تقرير صادر عن "المركز السوري لبحوث السياسات"، وهو مركز دراسات قريب من النظام، فإن 6. 7 مليون مواطن سوري أصبحوا تحت خط الفقر في الوقت الراهن، من بينهم 3. 6 مليون سوري يعيشون فقراً مدقعاً.

يشار إلى أن الليرة السورية فقدت أكثر من 70٪ من قيمتها أمام العملات الأجنبية الأخرى، ما أدى إلى ارتفاع كبير في الأسعار، وتدهور في الحياة المعيشية للسكان في سوريا، كما أن مئات الآلاف من السوريين فقدوا وظائفهم أو تعطلت أعمالهم ما زاد من المعاناة الإنسانية، ورفع من وتيرة التدهور الاقتصادي في البلاد.

تقرير أممي: أكثر من 100 ألف قضوا خلال النزاع في سوريا

قال الأمين العام للأمم المتحدة بأن كي مون أن أحداث سوريا المستمرة منذ 28 شهراً أوقعت أكثر من مائة ألف قتيل وشردت الملايين بين نازح ولاجئ في الدول المجاورة، داعيا لإيجاد حل عاجل للوضع في سوريا.

ووصف بأن الذي التقى يوم الخميس وزير الخارجية الأميركي جون كيري الوضع في سوريا بأنه مروع، مشدداً على ضرورة العمل على وضع حد لهذا النزاع ووقف أعمال العنف من الجانبين المتحاربين، كما أكد ضرورة عقد مؤتمر سلام في جنيف في أسرع وقت.

وجدد بأن والوزير الأميركي الدعوة لعقد مؤتمر جنيف 2 لحل الأزمة السورية، وأعرب عن أمله بعقده في سبتمبر / أيلول المقبل.

وقال بأن أن "أكثر من مائة ألف شخص قتلوا، وهناك ملايين آخرون إما هُجروا من بيوتهم أو أصبحوا لاجئين في الدول المجاورة. ويجب علينا أن نضع حداً لهذا الأمر كما يجب على كلا الطرفين وقف العمليات العسكرية والعنف، ولهذا من الواجب أن يُعقد مؤتمر سلام في جنيف في أسرع وقت ممكن".

وقال كيري بدوره أنه لا بديل للحل السياسي في سوريا، إذ لا يمكن تسوية الأزمة في هذا البلد بطرق عسكرية.

وأضاف: "هناك حاجة لإجلاس الأطراف إلى طاولة المفاوضات"، مؤكداً تمسك واشنطن بالاتفاق مع روسيا على عقد مؤتمر "جنيف - 2".

وكان آخر تقرير للأمم المتحدة ذكر أن عدد القتلى في سوريا بلغ 93 ألف شخص. ودأبت الامم المتحدة على القول أن الارقام التي تنشرها عن اعداد الخسائر في سوريا أقل من الاعداد الفعلية، إذ انها تعتقد أن الكثير من الوفيات لم يبلغ عنها.

وبلغ عدد القتلى الذين سقطوا في أعمال عنف في سوريا منذ بدء شهر رمضان أكثر من 2000 شخص، غالبيتهم من حاملي السلاح من الطرفين المتقاتلين، حسبما ذكر المرصد السوري لحقوق الإنسان الذي يتخذ من لندن مقراً له.

وقال مدير المرصد رامي عبد الرحمن في اتصال هاتفي مع وكالة الصحافة الفرنسية أن "2014 شخصا قتلوا في سوريا منذ بدء شهر رمضان في 10 تموز / يوليو، وبيّن أن القتلى هم 1323 من المقاتلين في صفوف المعارضة وفي صفوف القوات النظامية، و639 مدنياً، بالإضافة إلى 52 جثة مجهولة الهوية.

وأوضح أن عدد القتلى من الجانبين ارتفع أخيراً بسبب حدة المعارك وتصعيدها، مشيراً إلى أن مقاتلي المعارضة حصلوا على أسلحة جديدة، في حين صعد النظام هجماته.

وقال المرصد ومقره بريطانيا أن الأعداد التي أوردها أقل من الأعداد الفعلية "إذ لا يكشف أي من الطرفين عن أعداد الخسائر الفعلية".

(الخير يجمعنا)

حملة وحدة تنسيق الدعم الإغاثية

■ تقرير: ربا أبو العلا

وحدة تنسيق الدعم التي تسعى للعمل لسوريا آمنة ومستقرة، وتقديم المساعدات الإغاثية العاجلة للمناطق المتضررة، بشكل مفصول عن العمل السياسي الذي يقوم به الائتلاف الوطني، والتزاماً منها بمبدأ التنسيق وتفعيل عمليات الإغاثة الإنسانية، أطلقت حملة (الخير يجمعنا) الإغاثية، وذلك بالتعاون مع منظمات غير حكومية محلية، ناشطة على الأرض في مجال الإغاثة في أكثر من قرية ومنطقة، ومن المشهود لها بالشفافية والكفاءة، والتي هي: مكتب كوباني للإغاثة، جمعية ثوار صلاح الدين للإغاثة، جمعية الأبرار للإغاثة، جمعية الفرات الخيرية، إتحاد السوريين في المهجر، هيئة الإغاثة في معرة النعمان، جمعية الفرقان، إدارة مخيم اليمضية، المكتب الإغاثي الموحد في دير الزور، جمعية البر والخدمات الإجتماعية، المكتب الإغاثة في الطبقة، جمعية أهل الأثر، جمعية بهار، منظمة وطن، مؤسسة الرعاية الإنسانية / سوريا، فلوكا الحرية، الهيئة العامة للدفاع المدني في درعا، مؤسسة مرام للإغاثة، جمعية مسرات للإغاثة والتنمية.

وقامت المنظمات المشاركة بالحملة مع وحدة تنسيق الدعم بالتوقيع على مذكرات تفاهم تضمن تنفيذ أهداف الحملة، التي تتلخص بـ:

1 - ايصال المساعدات الإغاثية إلى المناطق الأشد حاجة داخل الأراضي السورية.

2 - الوصول إلى خارطة إغاثية توضح المناطق المستهدفة من كل منظمة، بحيث تقل نسبة تكرار الدعم في بعض المناطق وإهمال مناطق أخرى.

3 - الاستفادة من المعلومات المقدمة من وحدة إدارة المعلومات في وحدة تنسيق الدعم لضمان توزيع أمثل للموارد المتوفرة.

4 - تمكين المبادرات المدنية الإغاثية في المناطق المحاصرة.

5 - توحيد صفوف المنظمات غير الحكومية المحلية في سوريا، وتنسيق العمل فيما بينها بالشكل الذي يزيد من فعاليتها.

6 - تعتبر الحملة مفتوحة لاستقبال جميع المنظمات غير الحكومية المهتمة في حال موافاتها لشروط الانضمام إلى الحملة.

وتم التأكيد على عدم استخدام الموارد التي تدخل ضمن إطار الحملة لأغراض سياسية أو عسكرية أو طائفية.

تتلخص آليات عمل الحملة بـ:

- تقديم سلل غذائية ومساعدات مادية بحسب قدرة كل منظمة والنطاق الجغرافي الذي تغطيه.

- توزيع السلل الغذائية والمساعدات المادية ضمن النطاق الجغرافي المحدد، والالتزام بخطط التوزيع التي تم التوافق عليها.

- يحق لكل منظمة مشاركة توزيع جزء آخر من المساعات خارج إطار الحملة، شريطة الالتزام بخطط توزيع الحملة لتفادي التكرار أو الإهمال.

وضمن المرحلة الأولى من الحملة ساهمت كل من المنظمات المشاركة على النحو التالي:

- مؤسسة مرام: 500 سلة غذائية، و150 سلة من وحدة تنسيق الدعم، تم توزيعها في ريف حماه (خفسين، محارتين، شعاتة، تمانعة) بالإضافة للعائلات النازحة في إدلب (شنشراح وسرجيلا).

- مؤسسة عطاء للإغاثة والتنمية: 1، 800 سلة غذائية، و1، 000 سلة من وحدة تنسيق الدعم، تم توزيعها في دير الزور (الميادين، البوكمال).

- جمعية أهل الأثر: 1، 000 سلة غذائية، و1، 000 سلة من وحدة تنسيق الدعم، يتم توزيعها في دير الزور (هجين، عشارة، البصيرة).

- مؤسسة الرعاية الإنسانية / سوريا: 750 سلة غذائية، و500 سلة من وحدة تنسيق الدعم، تم توزيعها في حلب (ريف المهندسين)، وحماه (الحمراء، كرنا، ريف المحردة، عقيربات).

- جمعية مسرات استلمت 1، 100 سلة غذائية من وحدة تنسيق الدعم، تم توزيعها في مدينة حلب (جبل بدرو، الأنصاري، الفردوس، الصالحين وبستان القصر).

- اتحاد الهيئات الإغاثية في حلب وريفها: 500 سلة غذائية من وحدة تنسيق الدعم، تم توزيعها في مدينة حلب (طريق الباب).

- منظمة وطن / مؤسسة سوريا الخيرية (خير): 500 سلة غذائية، تم توزيعها في حماه (سهل الغاب).

- منظمة فلوكا الحرية: 7، 300 سلة غذائية، تم توزيعها في اللاذقية (جبل الأكراد والتركمان) بالإضافة للعائلات النازحة من ريف الاذقية إلى تركيا.

- جمعية بهار بـ 1، 000 سلة غذائية، و500 سلة من وحدة تنسيق الدعم، لتوزع في محافظة حلب (عفرين).

كما تم التوقيع على مذكرة تفاهم خاصة مع الهيئة العامة للدفاع المدني في درعا بقيمة 40، 500 أربعون ألف وخمسمائة دولار أمريكي، حيث بدأ توزيعها على 1، 000 عائلة من العائلات الأشد ضعفاً في درعا البلد كبدل نقدي للسلة الغذائية، بمعدل 40. 5 دولار أمريكي للعائلة.

تم أيضاً تسليم 25، 000 خمسة وعشرون ألف دولار نقداً لكل من المجلسين المحليين في حي القابون وبرزة الدمشقيين، ليتم صرفها عن طريق المكتب الإغاثي التابع لكل حي على شكل سلل غذائية للعائلات.

وفيما يخص المناطق المحاصرة، والتي يمنع النظام دخول المساعدات العينية إليها والمواد الغذائية، ولاتصلها مساعدات الأمم المتحدة، يتم العمل في وحدة تنسيق الدعم بالمساعدات النقدية وبشكل مباشر.

حالياً يتم التحضير للمرحلة الثانية من الحملة، حيث ستوزع وحدة تنسيق الدعم من خلالها 17، 000 سلة غذائية في مناطق أخرى، أو في المناطق الأكثر احتياجاً.

للتواصل مع وحدة تنسيق الدعم، يمكنكم المراسلة على البريد الإلكتروني

info@acu - sy. org

يسقط حكم العسكر

قراءة في تداعيات الثورة المصرية

■ ياسر مرزوق

"متعبناش متعبناش ثورة كاملة يا أما بلاش"

"يسقط يسقط حكم العسكر.. إحنا الشعب الخط الأحمر"

هتاف صدحت به الحناجر في ميدان التحرير، وخرجت بعده الدعوة إلى العصيان المدني في ذكرى خلع الرئيس مبارك، للمطالبة برحيل العسكر وتبكير انتخابات الرئاسة.

في هذه الفترة الحساسة من التاريخ المصري، اعتمدت المؤسسة العسكرية التي حكمت مصر انتقالياً بعد سقوط مبارك المماطلة وكسب الوقت طمعاً في فتور الحماس الشعبي مع تقادم الأيام، وانشغال الجماهير بالواقع الاقتصادي والاجتماعي المتأزم وربطه بالأمن، لإظهار المؤسسة العسكرية كحل لمشاكل المصريين، على ضوء ذلك انعدمت الثقة بين ائتلاف شباب الثورة، والمجلس العسكري لتباطؤه مع مطالب الثورة في محاكمة الرئيس المخلوع والمسؤولين في النظام السابق، والحزب الحاكم المنحل عن القتل، والتعذيب، والفساد وتطهير الدولة منهم، ومنع أعضاء الحزب الوطني المنحل من مزاولة العمل السياسي، وتحديد آجال زمنية لنقل السلطة إلى حكومة مدنية.

ولم تكن إدارة المجلس العسكري لشؤون المرحلة الانتقالية، ناصعةً كما بات الإعلام المصري يروج لها أخيراً، ففي 25شباط هاجمت قوات الشرطة العسكرية المعتصمين في ميدان التحرير، الذين رفضوا الرحيل قبل استكمال الثورة. ومارس عناصرها ممارساتٍ مطابقة لتاريخها القمعي في عهد مبارك ضد المعتصمين، يومها خرج المجلس العسكري بالرسالة رقم 22 وعنونها "نعتذر. ورصيدنا لديكم يسمح". بعدها بأيام، وتحديداً في 9 آذار، وقع أول شهيد على أيدي العسكر.، في اليوم التالي مباشرة، وقع هجوم جديد على اعتصام ميدان التحرير، قبل أن تُنتهك الحقوق بأبشع الصور عبر كشف العذرية على الفتيات المعتصمات، والقبض على عدد من الثوار وتعذيبهم في مبنى المتحف المصري في التحرير، وبعد حادثة دهس المتظاهرين في ماسبيرو والتي أوقعت زهاء 27 شهيداً عقدت القوات المسلحة مؤتمراً صحافياً برّرت فيها جريمتها بأنها كانت دفاعاً عن النفس من "المتظاهرين المسلحين".

ومع مخاضات الثورة والأكلاف التي بقي المصريون يدفعونها حتى يومنا هذا، سمح المصريون للإسلام السياسي بأن يخوض التجربة ثم حاسبته الميادين على فشله. وسقط أول رئيس منتخب في تاريخ مصر، وسقطت معه مقولة طالما حكمت العالم العربي مفادها أن الفوز في الانتخابات بغض النظر عن نزاهتها يمنح الحاكم تفويضاً عاماً ومطلقاً ويجيز له أن يفعل ما يشاء بدعوى أنه منتخب، وسقط مرسي بعد أن فشل في بناء كتلة تغيير ثورية مدنية قادرة على وضع أسس دولة جديدة بعقد اجتماعي جديد يحمي الدولة المدنية لعقود ويمنع عودة العسكر للحكم ويختلف عن ما كان سائداً في دول حكم العسكر قبل ثورات الربيع العربي وهو حكم دولة الغلبة بالقوة والمال.

وبعيداً عن تحليل ديمقراطية الميادين، وعن وجود مؤيدين لمرسي لا يستهان بهم، وعن شرعية أم انقلاب يبقى السؤال الأكثر إلحاحاً، ما الذي دعى المشاركين في اعتصام التحرير ضد المجلس العسكري إلى التجمع أمام وزارة الدفاع، والهتاف "يا سيسي يا سيسي.. أنا عايزك تبقى رئيسي" وما الذي دعاهم تخاطف صور الفريق السيسي في طول البلاد وعرضها مقرونة بصور عبد الناصر تأكيداً للاستمرار التاريخي لمرحلة عليها ما عليها في التاريخ العربي الحديث.

وما الذي دفع وسائل الإعلام الغربية إلى الإشارة لاحتمالية أن يرشح القائد العام للقوات المسلحة نفسه للرئاسة، ليعيد تجربةً كانت النقيض التام لمبادئ الثورة المصرية، وليستعيد المصريون من دون وعي قاعدة مؤسس النظام العسكري الحاكم جمال عبد الناصر "لا حرية لأعداء الحرية". هذا النظام الذي أجبر المصريين بعد ستة عقود فقط من استلامه مقاليد الحكم على النزول للشارع للمطالبة بالخبز والحرية والعدالة الاجتماعية. في دلالة واضحة على الفشل الذريع للانقلاب كون هذه المطالب مثلت الشعارات الأساسية له كما للنظام العسكري الاستبدادي الذي انبثق عنه واستمر لستين عام تقريباً قبل أن يهب الشعب المصري ثائراً ضده.

ملفنا اليوم عن حكم العسكر في مصر والمنطقة العربية بشكل عام، مع يقين بفشل حكم العسكر وتعارضه مع بناء الدولة المدنية، ويقين بفشل إقصاء المؤسسة العسكرية وإبعادها عن مراكز القرار، وتبدو المقاربة الأقرب للواقع تلك التي اعتمدتها الدول المتقدمة في إدارة الحكم، فمن قراءة لواقع صنع القرار في تلك الدول يبدو جلياً أن البنتاغون والسي آي ايه يشاركان في حكم أميركا، والجيش الروسي وجهاز المخابرات الاتحادي كذلك في روسيا والمخابرات البريطانية تشارك في حكم المملكة المتحدة "متحدة بقرار عسكري" وكذلك تفعل المخابرات الفرنسية التي تحفظ سياق السياسة الفرنسية سواء كانت أغلبية الحكم من الاشتراكيين أو من اليمين الجمهوري. دون الإخلال بدولة المؤسسات التي تحكم العلاقة بين الشعب وممثليه أو قادته، فالغرب الذي يصفق للانقلابات العسكرية في دول العالم الثالث وقد يدعمها، بات من المستحيل لديه قبولها في بلاده.

ولعل اليونان أكبر تأكيدٍ على كلامنا، حيث كشفت نتائج استطلاع للرأي أجرى حديثاً أن ثلاثة من بين كل عشرة يونانيين يرون أن الأحوال خلال فترة حكم العسكريين "1967 – 1974" كانت أفضل مما هي عليه الآن. وأجرى الاستفتاء لصالح صحيفة "الفثيروتيبيا" اليونانية الصادرة اليوم الأحد بمناسبة مرور الذكرى السادسة والأربعين على الانقلاب العسكري الذي وقع في الحادي والعشرين من نيسان عام 1967.

في المقابل، أظهرت النتائج أن 63٪ من اليونانيين لا يرون أن فترة حكم الجنرالات كانت أفضل من الأيام الحالية. وأوضح الاستطلاع أن اليساريين أكثر انتقادا لفترة حكم العسكر مقارنة بالمحافظين، إذ أن 46٪ من الأشخاص الذين أعطوا صوتهم لحزب الحكومة "الديمقراطية الجديدة" المحافظ يرون أن حقبة الديكتاتورية كانت أفضل من الأيام الحالية فيما لم يتبن هذا الرأي بين أنصار التحالف اليساري (سيريزا) سوى 24٪ وبين الشيوعيين سوى 17٪ فقط.

وكان الجيش اليوناني حاصر في الحادي والعشرين من أبريل عام 1967 قصر الملك ومكاتب الحكومة ومحطة الإذاعة وانتهى الأمر بوصول الجنرال جاورجيوس بابادوبولوس إلى الحكم، واستمر حكم العسكر حتى 1974 شهدت البلاد خلاله تقييد للحريات ومنع أي نشاط سياسي كما وقعت اعتقالات واسعة النطاق وفرضت رقابة شديدة على الصحف.

وفي هذا الصدد، هل كان الاتحاد الأوروبي أو حلف شمال الأطلسي ليسمح بانقلاب العسكر على الشرعية وعزل الرئيس المنتخب أو اختطافه، مع أن اليونانيين نزلوا إلى الشارع بالملايين.

على الجانب الآخر يؤيد الغربيون العسكر في دول الجنوب بل قد يدعمون انقلاباتهم، ولعل المثال الأكثر وضوحاً هو الانقلاب العسكري في تشيلي عام 1973 حين تدخل الرئيس "ريتشارد نيكسون" ومستشاره في الأمن القومي "هنري كيسنجر" ورئيس المخابرات الأمريكية بمساعدة ديكتاتور دولة البرازيل آنذاك في مخطط لإسقاط الحكومة الاشتراكية للرئيس المنتخب ديمقراطيا "سلفادور أليندي"..

حيث قررت أمريكا الانقلاب على الشرعية وذلك عبر تأزيم الوضع الاقتصادي وتصفية الجنرال "روني شنايدر" قائد الجيش والمتمسك بشرعية المؤسسات قبل الانقلاب وكيف تم دعم المعارضة وتنظيماتها العسكرية السرية وصحفها وكتابها وإذاعاتها وخنق الاقتصاد بإضرابات أخطرها إضراب أرباب الشاحنات التي شلت الحركة التجارية وتموين الأسواق.. ومع نجاح الانقلاب بدأت التصفية الجسدية لكل المعارضين وإغلاق كل الجرائد والإذاعات المساندة للرئيس "سالفادور أليندي" وحرق الكتب والمجلات وتصفية المثقفين والشعراء والفنانين من ضمنهم المغني العالمي الثائر "فيكتور خارا"..

أما في العالم العربي فقد فشلت المؤسسة العسكرية في تقنين وجودها ففي مصر مثلاً تحول نظام حكم مصر من ملكي إلى جمهوري شكلياً فقط حيث فيه يحكم أحد رجال العسكر مصر حتى وفاته ولم تكن جمهورية بمعنى أن يختار الشعب حاكمه ويحاسبه إذا أخطأ، فالقرن العشرين كان نصفه حكم ملكي للأحفاد أسرة محمد على ونصفه الأخر حكم عسكري فمصر جربت حكم العسكر وذاقت مرارته وأثبت حكم العسكر فشله في تحقيق التقدم والرخاء للمصر وللمصريين.

كما ربط العسكر أنفسهم بالألوهة حتى أنه وأمام دار الحرس الجمهوري، وقف أحد القادة العسكريين مخاطبا البلتاجي وصفوت حجازي «نحن في رباط إلى يوم الدين».. وهو استدلال متقطع من حديث شريف للنبي - صلى الله عليه وسلم - عن أهل مصر، وهو الحديث الثاني بعد الحديث الشريف، الذي يصف جند مصر بأنهم خير أجناد الأرض.

ولعل من نافلة القول التذكير بالأب القائد الخالد في سوريا، والرئيس المؤمن في مصر، وملك ملوك أفريقيا في ليبيا وصلاح الدين الجديد في العراق، ولعل المفارقة تكمن في أن البلاد العربية تاريخياً عاشت مفهوماً ولو نسبياً لدولة مركزية كانت مؤهلة أكثر من غيرها للتطور والابتعاد عن تأليه الحاكم العسكري عادةً، وحتى في العصر الإسلامي ظهرت بوادر لتعامل سياسي بعيداً عن الإقصاء والتأليه ولنا أن نذكر تلك الكلمات التي أوصى بها الحجاج بن يوسف الثقفي لطارق بن عمرو حين ولاه مصر: "لو ولاك أمير المؤمنين أمر مصر فعليك بالعدل، فهم قتلة الظلمة وهادمي الأمم، وما أتى عليهم قادم بخير إلا التقموه كما تلتقم الأم رضيعها، وما أتى عليهم قادم بشر إلا أكلوه كما تأكل النار أجف الحطب، وهم أهل قوة وصبر وجلدة وحمل، ولايغرنك صبرهم ولا تستضعف قوتهم، فهم أن قاموا لنصرة رجل ما تركوه إلا والتاج على رأسه، وإن قاموا على رجل ما تركوه إلا وقد قطعوا رأسه، فاتق غضبهم ولا تشعل ناراً لا يطفئها إلا خالقهم، فانتصر بهم فهم خير أجناد الأرض واتق فيهم ثلاثاً، نساءهم فلا تقربهن بسوء وإلا أكلوك كما تأكل الأسود فرائسها، أرضهم وإلا حاربتك صخور جبالهم، دينهم وإلا أحرقوا عليك دنياك، وهم صخرة في جبل كبرياء الله، تتحطم عليها أحلام أعدائهم وأعداء الله".

وفي الحالة المصرية برزت بوادر ديمقراطية في العصر الحديث منذ إنشاء مجلس شورى النواب في عام 1866، ثم المرحلة الليبرالية الوفدية التي بدأت عقب ثورة 1919، ومن بعدها برلمان 1924، الذي شكل نوعاً من التعددية السياسية الشكلية، التي كانت طريقاً لتشكيل ثقافة ديمقراطية مترسخة. نسفها انقلاب عام 1952 وفوتت مصر فرصة تاريخية عام 1954 حين خسر محمد نجيب الرهان أمام جمال عبد الناصر.

بعدها أسقطت الثورة الإيرانية، وعلى رأسها الخميني، إمكانية التوصل إلى بديل عصري وديمقراطي عن نظام الشاه كان يرمز إليه السياسي الإيراني شاهبور بختيار، وربما كانت السابقة التاريخية المشابهة لما حصل في إيران انقضاض البلاشفة الروس في 1917 على الحكومة الانتقالية لألكسندر كيرينسكي الذي أنهى الحكم القيصري، هكذا فوتت إيران الفرصة التي فوتتها روسيا ثم فوتتها مصر.

وإذا أردنا الحديث عن حكم العسكر في العالم العربي فقد بدأ عام 1936 بدأ الانقلاب في العراق على يد الضابط بكر صدقي الذي ارتكب، قبل ثلاث سنوات فحسب، مجزرة الأشوريّين. تبعه انقلاب 1941 "المربّع الذهبيّ " ورشيد عالي الكيلاني، أمّا في 1958 فكان الانقلاب الجمهوريّ المسمّى ثورة، تلاه انقلابان في 1963 أوّلهما جاء بالبعث إلى السلطة والثاني أزاحه عنها، وصولاً إلى انقلاب 1968 الذي أعاد البعث وأنجب صدّام حسين الذي أغرق البلاد بالموت الذي لم يستثنه عام 2003.

وفي سوريّة بدأ حكم العسكر بثلاثة انقلابات جاءت، على التوالي، بحسني الزعيم وسامي الحنّاوي وأديب الشيشكلي، ثمّ قام الأخير بانقلاب ثانٍ عزّز فيه سلطاته، حتّى إذا أطيح، أواسط الخمسينات، وبقي انقلاب الحناوي والشيشكلي الأول انقلاباً لإعادة الشرعية بوجود رئيس وحكومة منتخبين من الشعب أما الانقلاب الأكبر في الحياة السياسية السورية كان عام 1958 حين قدمت طغمة من الضباط وقيادات البعث الديمقراطية السورية المتعثرة قرباناً على محراب الفراعنة ثم تتالت الانقلابات، حتى انقلب حافظ الأسد عام 1970 على باقي رفاقه لتتحول سوريا إلى مملكةٍ يؤرثها لابنه.

وليست الحال في الجزائر أو السودان بأفضلٍ حالاً، بل وحتى في لبنان ورغماً من الديمقراطية المشوهة التي يعيشها والتي حافظ عليها منذ تأسيس الجمهورية لم يستطع الحفاظ عليها في مواجهة عسكر الفيلق الإيراني الذي بات قائده الحاكم الفعلي للبلد..

وبالعودة إلى مصر تبرز المشكلة الأكبر ما بعد حكم العسكر للمرحلة الانتقالية التي سيحددها، أي ما بعد انتهاء خارطة الطريق التي سيقترحها الجيش، وكيف سيتم التعامل مع التيار الإسلامي في حال أعادته صناديق الاقتراع للسلطة، هل ستلجأ المؤسسة للنموذج الناصري القائم على الفبركة والتضخيم والعبث إعلامياً، والاستئصال والتصفية والقمع سياسياً واجتماعياً، أم ستعتمد النموذج الجزائري المطابق تقريباً للحالة المصرية عندما فازت جبهة الإنقاذ الجزائرية ديمقراطياً لكن الكثير ممن انتخبوها نكاية بجبهة التحرير الجزائرية التي لم تحقق آمالهم أي أن كثيرين صوتوا لجبهة الإنقاذ الجزائرية نكاية بخصومها.

ولم يكن فوزها يومها إلا استدعاءً للعسكر للانقلاب على الحكم ولتعيش الجزائر بعدها عقداً من الإرهاب والإرهاب المضاد، ليخلفه عقدٌ من الفساد والقمع يدفع الجزائريون ثمنه حتى اليوم.

في الختام تجدر الإشارة إلى أنه في أحداثٍ تاريخية على هذا المستوى يبقى الحكم لمكر التاريخ، وعلى الرغم من السيناريوهات السوداء التي ذكرتها قد يفاجئنا الشعب المصري وينجز تجربةً ونموذجاً يليق بحضارة مصر وطيب أهلها، وتبقى مصرنا محروسةً بعيدةً عن طبول الحرب..

ملاحظة:

خلال إعداد الملف فاجئنا وزير الدفاع المصري عبد الفتاح السيسي وهو يدعو الجماهير للنزول إلى الشوارع والميادين يوم الجمعة، لتعطيه تفويضاً للوقوف في وجه الإرهاب، في ظل وجود رئيس للدولة وفي وجود رئيس للحكومة، وكان بوسع أي منهما أن يخاطب الشعب المصري ويشرح لهم الأزمة الراهنة، والإجراءات التي ستتخذها الحكومة في هذا الصدد، على غرار ما حصل في تونس بعد اغتيال البرهمي، ولعل المثير للاستهجان احتكام الدولة والشرعية للميدان، فالحكومة التي تباشر سلطاتها في أي بلد لا تحتاج إلى تفويض لمواجهة مهمة من ذلك القبيل.

بقي أن نذكر أن وزير الدفاع وفي حشد المصريين ضد بعضهم نسي أن من يطلق الشرارة الأولى في مواجهات ساخنة من ذلك القبيل يصعب عليه التحكم في الشرارة الأخيرة.

سوريا التي ستنتصر..
وبشار ليس أكثر من ديكور في اللعبة الايرانية

■ الياس س الياس

إذا كانت مصر على مدى 3 أسابيع تصدرت الأخبار، وخصوصا في ظل إعلام أسدي لا يعترف بوجود شيء في سوريا سوى "المؤامرة" التي وصلت حي القصور والتجارة والعدوي، فمن الطبيعي جدا أن يظن الحكم الفاشي وعصاباته المحلية والمستوردة بأنه قادر على فعل ما يرغب بتغييب الإعلام المحلي والإقليمي لما تقدم عليه آلته التدميرية. هكذا كان العقل الكارثي الانكاري يشتغل حين كانت مظاهرات الثورة السورية تخرج بشكل سلمي في حيي الميدان والمزة (ليس للحصر بل لأنهما في قلب العاصمة) فكان يقدم الأمر على أنه "لا شيء يحدث" وإن اضطر للاعتراف فصيغته " بضعة مصلين هتفوا للشهيد وتفرقوا"! بكل بساطة كان يظن، وربما ما يزال من بقي عصابات الحكم في دمشق، بأن غياب الصورة يعني غياب الفعل الثوري..

يذكرني الأمر بوقاحة رجالات مافيا الأسد ومن بينهم عمران الزعبي حين يدعون "المهجرين للعودة إلى منازلهم بدل المكوث في معسكرات اللجوء".. أية بيوت؟ لا أحد يشرح لهؤلاء الملايين من المهجرين الذين بعضهم قصفت طائرات بشار المدارس التي آوتهم كما المساجد (خذ على سبيل المثال حين تم قصف مدارس مخيم اليرموك ومسجد عبد القادر الحسيني في 16 ديسمبر 2012) بل ذهب هو بنفسه في مشهد هزلي يكرره كل ديكتاتور إلى بابا عمرو في حمص معلنا أمام "عمود كهربائي" بأن إعادة الإعمار وعودة الناس قد بدأت..

وها نحن نرى في حمص تدميرا لتاريخ طويل بقصف الأحياء القديمة ومسجد وقبر خالد بن الوليد! لعل التفكير الرغبوي ظل مسيطرا على عقول عصابة الحكم في دمشق حتى يومنا هذا.. فمن مقولة " قنوات سفك الدم السوري" إلى " مؤامرات حمد وأردوغان" استمر المشهد الكاذب على الذات بأنه لو توقف هؤلاء عن "التآمر" وإظهار ما يجري في سوريا لما كان هناك ثمة حاجة لطائرات وصواريخ سكود وأرض - أرض ولا استيلاد فاشية "جيش الدفاع الوطني" واستيراد من حدود باكستان مرورا بإيران وبغداد ولبنان لعصابات تساند تحت راية " الحسين"..

ليس الأمر في العقل الكارثي الذي قادت فيه عصابة دمشق على الصعيد الداخلي فحسب، بل في الاستمرار بإطلاق صفة "الممانعة" على الذات في نفس الوقت الذي كانت القنوات مفتوحة مع الصهاينة ومنذ البداية بشكل رسائل غير مباشرة مع أعتى ما قدمه العقل العصاباتي الصهيوني ممثلا بأفيغدور ليبرمان وغيره في مسائل متعلقة بكيان يحلم بشار (ليس شخصيا فحسب بل بمن حوله من مافيا قد تكون عابرة للطوائف) لإقامته في الساحل السوري بعد استكمال التطهير الذي يتم في حمص.. إلى السكوت عن مسح السيادة "الأسدية" بالأرض بقصف متكرر ممتد من الشمال إلى العاصمة بطائرات صهيونية يدعي أنه ممانع لها..

استجداء "المفاوضات"

تقف منظومة العصابة الحاكمة بقوة الأمر الواقع مندهشة، ومصدومة ربما، بأنها ورغم كل ما تقدم من تغطية على مجازره وتدميره لمدن وقرى السوريين إقليميا وبحماية روسية وتقديم كل وسائل الدعم وبأساليب نصب واحتيال داخلية على الشعب الثائر في محاولات تفكيك ثورته باصطناع ما يشبه ميكيافيلية فاشلة وخطى إنكليزية تستند على سياسة فرق لتسد بين مكونات الشعب وحتى القوى السياسية بتصنيفات تتصاعد وتهبط حسبما يؤشر بارومتر الانهيار الشامل الذي تسنده عصابات غزو خارجي وسعي حثيث لتطييف المواجهة في سوريا..

فليس غريبا مثلا أن نراه يستجدي الأكراد (وهو النظام ذاته الذي همش منذ عهد أبيه مئات الآلاف منهم وحملهم أوراق مؤقتة باعتبارهم غير سوريين) بتقوية مواقف بعض هؤلاء السياسيين الأكراد المعروفين في علاقاتهم التاريخية كديكور في حكم الديكتاتورية الأسدية..

وإن حسب البعض نفسه على "المعارضة" في هيئة التنسيق التي بلعت لاءات ثلاث وضعتها في حلبون 2011، كما تبلع لسانها أمام سيل الدماء والمذابح المتنقلة بين السوريين في قراهم ومدنهم بارتباك يشير إلى ورطة القوى والأحزاب التقليدية التي تشبه غيرها في العالم العربي في زمن الثورات التي سبقتها فلهثت وراءها وركبت موجتها بل وبعضها يعتبر / من يسار ويمين وليبرالية وعلمانية ودينية / بأنها مفجرة تلك الثورات..

المشهد واضح لا لبس فيه، بعد أن كانت الثورة السورية مجرد " حثالات" و" عصابات تروع الآمنين" و" تحالف بين القاعدة والأميركيين وبندر والحريري ألخ"

صارت العصابة الحاكمة التي وعدت مؤيديها مرة بالرد على الاعتداءات الصهيونية فانبطحت أكثر تحت سماء تغطيها طائرات الاستطلاع الإسرائيلية يوميا وتفاهم متبادل في الجولان غير المحتل ليستكمل بشار تدمير سوريا وجيشها، ووعدتهم باستعادة حلب خلال أيام منذ أكثر من عام مثلما وعدتهم باستعادة الرقة.. ومثلما تنخبط في سياسة اقتصادية ناهبة تمارسها عبر جناحها المافيوي في قصة ارتفاع الدولار وهبوطه بعد أن تصبح قيمة العملة السورية في مستوى يؤشر إلى الجشع الذي تصطبغ به أية عصابة تعتبر وطنها رأسمالها وليس وطن الشعب..

بعد كل ذلك وغيره كثير بدأنا نسمع من أصحاب تسمية السوريين الثائرين بمسميات سيسجلها التاريخ على طحالب الفاشية التي تفشل يوميا في تبرير وتسويق أكاذيبها حتى أمام هؤلاء المصفقون للصواريخ وللطائرات من الأتباع الذين غيب إعلام الأسد عقولهم منذ اللحظة الأولى.. هؤلاء صاروا اليوم أكثر وهما بانتصارات وهمية ومضحكة في تفكيك عبوة هنا وقتل مئات الآلاف وتدمير مثلها من الدوشكا فتشعر بأن هؤلاء لا يستجدون المفاوضات و" باب سوريا مفتوح لمن يريد الحوار الوطني"..

ما الذي يجري؟

سواء اعترف علانية أم لم يعترف بشار وصحبه فهو أصبح مفعول به وليس الفاعل.. تم رهن سوريا لإيران، وحتى العامل الروسي لم يعد سوى بطريقة تبادلية بين مافيا دمشق وموسكو في مسائل السلاح ليس إلا، ومن يقرر ما يجري في معسكر بشار ليس هو أبدا بل تحول هو إلى مجرد ديكور في منظومة تسير المعارك العسكرية والسياسية إيرانيا وبعصابات مستوردة ومحلية..

لنأخذ مثلا ما كتبته نيويورك تايمز عن الشخصية الطائفية رفيق لطف (وهو بالمناسبة يحمل الجنسية الأميركية مع زوجته جمانة التي تحولت من برنامج دردشة على الانترنت لتصبح مراسلة قناة طائفية دينية كالكوثر وما يشبهها) فهو يجمع شباب سوري (من الشيعة) وبأعمار أطفال ليرسلهم إلى طهران ليتلقوا التدريبات هناك ثم يعادون إلى سوريا ليموتوا في سبيل مشروع طهران تحت حجة "الدفاع عن المقامات"!

وحين يصل الأمر حسبما نقلت الصحيفة إلى مستوى أن شخصية مثل رفيق لطف يجوب الأحياء الدمشقية القديمة موزعا السلاح (وعلى فكرة بإمكان الجميع أن يراه صحفيا في مؤامرات وليد المعلم والزعبي والمقداد..) بحجة الدفاع عن أحياء الشيعة.. فقط لتثبيت نظرة ذكرناها سابقا لا تهدف إلى تقديم الثورة السورية على أنها ثورة طائفية وقامت ضد مقام السيدة زينب وسكينة / تماما مثلما يفعل حسن نصر اللّه بأكاذيبه المفضوحة / بل أيضاً في سياق توسعة الشرخ بين مكونات المجتمع السوري تقدمة لما يحلم به الإيراني من تقسيم سوريا..

دع عنك الكلام عن حرص هؤلاء في خطابهم الإعلامي الدعائي عن "وحدة سوريا" وراجع ممارسات العصابات المقننة وغير المقننة في نهبها لممتلكات السوريين وتدمير ما تبقى في المناطق التي لن تكون جزءا من دويلة طهران في سوريا.. وراجع السيادة الوطنية في مناورات تحييد الأكراد عبر أحزاب معروفة الولاءات وممن ساهمت بقمع الشباب الكردي الثائر.. بل وساهمت بقتل القائد الوطني الكردي مشعل تمو.. فعن أي حوار يتحدث هؤلاء؟ حوار وليس تفاوض تقوده عقلية صالحي الإيراني وبخطى شامير.. أي بوهم جرجرة الثورة السورية نحو دهاليز حوارات لا أساس لها ولا نهايات تصل إليها سوى في تفكيك قوى الثورة (وليس المعارضة وشخصياتها المفككة والمهلهلة بالأصل والتي لم يكن لها الفضل في انطلق هذه الثورة أبداً ولو ادعى حتى ميشيل كيلو أو هيثم مناع أو شيوخ وكهنة بأنهم وراء الثورة)..

طهران التي وضعت بشار جانبا واستولت على القرار في أروقة السياسة لا يهمها أن قام بشار بمسرحية هزيلة في حزب البعث.. ولا يهمها أن يثرثر كل محيط بشار عن " السيادة الوطنية" ولا يهمها كل هيئة التنسيق وشعاراتها التي بلعتها عن رفض التدخل الخارجي رغم معرفة حتى كوادر هيئة التنسيق سياسة الباسيج داخل العاصمة السورية وحواجزها التي تريد للناس أن يكفروا بالثورة ويقبلوا بالأمر الواقع..

ما يهم طهران التي تتدخل كقوة غازية وبشكل منظم مع حسن نصر اللّه وميليشيات شيعية طائفية في العراق نمت في حضن الغزو الأميركي هناك إعداد مسرح التقسيم.. تدخل عناصر عربية أو دينية سنية في الشمال السوري وعلى عكس ما يشاع ليس بالأمر الذي كان منظما وبمباركة الدول التي يجيء منها هؤلاء أكان من الخليج أو أوروبا أو حتى الشيشان وغيرها من الجنسيات التي يعتبر هيثم مناع مهمته الأساسية كحقوقي ليس متابعة خروقات فظيعة لحقوق شعبه بل عد عدد الجنسيات في شمال سوريا..

ولا يرى في الباسيج وقوة بغداد والضاحية الجنوبية إشكالية.. ولا أكاد شخصيا أن أفهم كيف يصمت هذا العلماني ومثله كثيرون عن سخافة تشكيل وارسال ميليشيات تحت بند "الدفاع عن المقدسات" / وهي بالمناسبة أيضاً حجة تبنتها روسيا بلسان لافروف حين علق على تدخل عصابات حزب اللّه / لكننا وبمعرفتنا البسيطة بتوزع ما يسمى مقامات ليس في القصير ولا حلب ولا ريف دمشق ما يستدعي كل هذا الواجب "الجهادي" الكذبة الكبرى المتحولة إلى ورطة حقيقية.. لكل هؤلاء بمن فيهم القوى السورية الليبرالية والقومية والعلمانية الصامتة عن أقذر ممارسات مباشرة وغير مباشرة بحق السوريين على الحواجز وفي أحياء المدن التي بقيت تحت سيطرة " نظام" العصابة..

على ماذا يراهن السوريين في ثورتهم؟

لـم يعد هناك من فائـدة للتذكير بـأن " المؤامرة الكونيـة" فـي مخيلـة بشـار بدايـة وترددها بشـكل ببغائـي داخليا وإقليميـا يعرف السـوريون بأنها كذبة كبرى كشـفتها مجموعة من السياسـات الدولية وحتى الإسـرائيلية التي تبتهج يوميا لتفكك المجتمع السوري وتدمير بنية سوريا التحتية بخردة الأسلحة الروسية..

ليـس قصـة التسـليح هـي الكذبة الوحيـدة، بل تعطيـل القانـون الدولي الإنسـاني عند حدود سـوريا يكشـف مدى النفاق الذي وصلت إليه سياسـات الغرب في الثورة السـورية / وكما قال أحدهم: الأمم المتحدة يجب أن يتغير اسـمها إلى منظمة عد الضحايا والتعبير عن القلـق / .. من غير المفهوم مثـلا أن تقف منظمة الصليـب الأحمر الدولـي عاجزة عن النفاذ إلى سـوريا ولو من الحدود التي لا تسـيطر عليها عصابات الحكم.. فكارثة السـوريين التي سـببتها أسـلحة روسيا لا تقل عـن كارثـة زلـزال هايتي وايـران وكاترينـا التي هب العرب لتقديم مساعدات للمتضررين بعده..

هـي كارثة لا تقـل عن أية كارثـة حصلت في أي مـكان في العالم سـواء كانت كارثة طبيعيـة أو كارثة إبـادة جماعية فـي افريقيا وغيرهـا.. فبالرغم من كل ما اشـيع عـن تلـك المؤامـرة الكونية حضر مسـؤول منظمة الصليب الأحمر مبتسـما في لقاءاته مع الأسـد ومسـؤولين سـوريين آخريـن ومنـذ عامين يسـتمر " جيشنا الباسل" في ملاحقة "المشافي الميدانية" ويدمر ويقتل كل مـن يحاول خرق حصار علـى هذه المدينة وتلك القرية ولم يسلم حتى اللاجئون من قتلهم وهم يحاولون عبور الحدود إلى خارج سوريا..

أكثر من مرة أعلنت مناطق سورية عديدة كمناطق منكوبة وأكثر من مرة تم توجيه نداء استغاثة بدون أن تتحـرك المنظمـات الدولية لا غير الحوميـة ولا التابعة للأمـم المتحـدة سـوى بإصـدار تقارير عـن الملايين التـي تحتاج المسـاعدة.. وعن كـرم الضيافة في دول كالأردن التي تلقى ملكها مئات ملايين الدولارات لدعم اللاجئين وما يزال التسـول جاريـا.. عدا عن الملاحقات التي تعرض لها السـوريون بشكل منظم ومنهجي في مصر بعد 30 يونيو بالضد من مبادئ ثورة يناير..

إلـى جانـب ذلـك لنلاحظ كيـف يتصـرف بعض اللبنانيون مع اللاجئ السـوري لنكتشف تلك "المؤامرة الكونيـة التي تتعرض لهـا الممانعة". السـوريون في واقع الأمـر يعتمدون على ارثهم الحضاري وتحضرهم الذي حاولت حثالات العصابات الحاكمة مسـحها باعتبار سـوريا لم تكن موجودة سـوى منذ انقلاب حافظ اسد وتسمية سـوريا على اسـم عائلته.. واعتبار كل من لا يخضع لتلـك الحثالات التي يعرف أهل السـاحل وأهل دمشق وحماة كل معاني التشبيح التي تم اكار وجودها بلسان أبواق بشار منذ مارس 2011..

لقد فشلت العصابة الحاكمة في خلق نزاعات بين حوران والسـويداء كما تتلاشى كذبة " حماية الأقليات" بتفجيـر أماكنهـا والبـكاء عليها عبـر الآلـة الدعائية.. فشـلت العصابة في ضـرب الحاضنة الشـعبية للثورة السـورية بالرغم من أن نصف الشعب السوري مهجرا ومئـات الآلاف من الشـهداء والمعتقلين والجرحى وفي مسـالخ معاتيه الأسـد بمن فيهم خيرة شـباب وصبايا الشـعب السـوري ممن قاومـوا حتى سـلميا.. لاحظوا مثلا الاعتقالات الأخيرة بحـق فنانين ومثقفين وحملة تخوين تطال كل من لا يقدم فرض العبودية..

حتـى عبد العزيـز الخير ورفاقه لـم يكترث نظام العصابـة لمصيرهـم ويقف الإنسـان مدهوشـا أمام انشـغالات هيئـة التنسـيق فـي تمييع قصـة التدخل الخارجـي بينمـا أثبتت الأيام أيـة كذبة كبرى عاشـها هـؤلاء الذين عطلـوا وأعطوا روسـيا وغيرهـا الذرائع بشـأن القانـون الدولي الإنسـاني بحجة سـاقوها في 2011 عن رفضهم لأي تدخل خارجي وشـكروا روسـيا والصيـن على الفيتـو المتتالي قائلين لنـا جميعا: هل تريدون أن تدمر سـوريا ويقتل 50 ألف سـوري! أثبتت الأيـام بأنـه لم يقتـل فقط 50 الف سـوري وسـورية بـل مئات الآلاف ودمرت مدن وقـرى وبنية تحتية كانت قائمة قبل ولادة بشـار ومنها مسـاجد وكنائس وقلاع وجسور بسلاح الخردة الروسي الأعمى..

ولم يراجع هؤلاء مواقفهم بل يمعنون في البحث عـن أيـة طريقـة للتجاوب مـع مهزلـة "الحـوار" (لكن هـذه المرة برعايـة طهران وليس بشـار المتحول إلى ديكور).. التكافل الوطني والوعي بالذات وباللعبة جعل السوريين في معسـكر الثورة يدركون بأن انتصارهم فـي ثورتهـم اليتيمـة لـن يتحقـق سـوى بالاعتمـاد علـى الـذات التي حاولـت عوائل الحكم شـطبها ومحو شـخصيتها لمصلحة حضور " البانـي والمعلم والقائد الخالد وسيد الوطن"..

مرة أخرى لا بد من الوحدة

في الكتابات السـابقة حين كنت أكتب عن ضرورة توحد القـوى الثورية، علـى اختلاف مشـاربها، بقيادة موحدة وغرفة تنسـيق مشتركة فقد كان الأمر استنادا إلى أن أحد في هذا العالم لن يحرر سـوريا والسوريين سوى أنفسهم.. وبقوتهم الذاتية.. وبعيدا عن نرجسية بعض الشخصيات التي تظن أنها تملك الحل والطريق وحدهـا ما تزال الثورة السـورية العصية على الكسـر بعد عامـان من التجذر إلـى مزيد من الوحدة سياسـيا وعسـكريا وإعلاميا.. هذه ثورة تنحت في المستحيلات وكل تسـلق وانتهازيـة ومتاجـرة فيها تؤذيهـا وتؤخر النصـر وانهاء معانـاة الملايين.. وباقتنـاع كامل أقول بأن نظام العصابة الفاشية إلى زوال مهما بدت أوهامه بإمكانيـة الانتصـار على شـعب لـم يعد بحاجـة إلى " وسـائل إعلام سفك الدم السـوري" لتقول له الحقيقة التي يلمسـها يوميا بجسـده على حواجز تحيط بأحياء دمشق حيث يحاصر نظام العصابة نفسه..

ملاحظتين في السياق

• تم مؤخرا وبسلاح إيراني قصف مخيم اليرموك جنـوب العاصمـة السـورية.. صواريـخ أرض - أرض.. سـلاح ممانعـة ومقاومة يدمر مخيمات الفلسـطينيين بـذات الوقـت الذي يمعن فيـه هؤلاء بالمتاجرة باسـم فلسطين ومعهم مرتزقة فلسطينيون من أحمد جبريل إلى أصغر حامل قلم كرشـاد أبو شـاور ولسان يدعي " اليسـارية" كليلى خالـد.. صور الدمار التـي فرحت لها صفحات "الممانعة" لم تظهر لنا سـوى أطفال ونسـاء يتـم قتلهـم بحجة " تحريـر المخيم".. يجـري هذا في الوقـت الذي يقوم فيه وفد من سـلطة رام الله بزيارة إلى دمشـق متنقلا من مسـؤول أمني إلى آخر.. وعلي مملـوك يصدر المزيـد من الأوامر لدك الفلسـطينيين بالصواريـخ والكيمـاوي بأوامـر اسياده الإيرانييـن.. هـذا لـم يثر ما يسـمى "الفصائـل الفلسـطينية" ولو بإدانة ونحـن نرى صور الأطفال التـي تدمي القلوب.. هل يسـتحق الأمر التذكير به وكل سـوريا تدمر؟ نعم يستحق من زاوية الإفلاس الأخلاقي عند تلك الفصائل هذا إذا لم نـأت على الوطني وضياع الضمير عند كتبة وابـواق فلسـطينيين يرتضون لأنفسـهم التحول إلى جـزم في أحذية عصابات بشـار عند " معابـر" المخيم والتنكيـل بالفلسـطينيين والفلسـطينيات فـي نفس الوقـت الذي تـذرف فيه الآلة الدعائية لبشـار وحسـن نصر الله دموع التماسـيح على قضية فلسطين وبأنها تتعرض " لمؤامرة كونية" بسبب مواقفها الممانعة..

• فـي المشـهد المصـري يرتبـك الآن الممانعون بعد الانقلاب العسـكري الذي رحبوا به نكاية بمرسـي والاخـوان، فهـا هـي غزة تصبـح محاصرة مـرة أخرى وصفـق البعـض للحملـة العنصرية الهسـتيرية بحق الفلسـطينيين نكايـة بحمـاس وكأن غزة ليـس فيها سـوى رجال حماس وليس فلسطينيون بشر لهم الحق فـي الخروج والدخول تحت شـعار " العروبة".. أخطر ما فـي الأمر أن هـؤلاء بلعوا ألسـنتهم حين يتـم توجيه تهمـة لرئيس منتخب من الملايين ولـم يأتي بالدبابة ولا التوريـث: التخابـر مع حمـاس! وبغـض النظر عن موقـف البعض من حمـاس إلا أننا أمام مشـهد مخزي وعار علـى القوى العروبيـة والديمقراطيـة في مصر وهي ترى وتسـمع هذه الهيستيريا الإعلامية الموجهة إلى السـوريين في مصر والفلسطينيين عموما وقيام عمرو أديـب بتحية الإسـرائيليين على الهـواء لقتلهم الفلسـطينيين.. فتم السـكوت عن الأمر من معسكر " الممانعة البيروتي والطهراني والدمشـقي".. والغريب أن البعـض فـي رام الله يفـرك يديه فرحـا لتهديدات باجتيـاح مصـري لغـزة! هذه هـي بركة تأييـد ركوب العسـكر في مصر لموجة غضب شـعبي طبيعي على حكم محمد مرسـي.. ومن حمديـن صباحي إلى القوى الديمقراطيـة والوطنية يتراكم عار المواقف التي ترى في أرجوز السيسـي تقليدا سـخيفا وفاشلا لجمال عبد الناصـر.. فصناعة الزعامات لا تتم بهذه الكاريكاتورية ولا بشـيطنة الآخـر وقتله ثـم الادعاء بأنـه " إرهابي يسـتحق القتـل بتفويض شـعبي".. هـذه اللعبة تمت في سـوريا حين كان بشـار يسير مسـيراته في السبع بحرات وسـاحة الأمويين ويخرج على قنواته "محللين" ومواطنيـن بالصدفـة يصرخـون بشـكل هيسـتيري ليلبـس بشـار البدلة العسـكرية.. أي ليقصـف ويدمر بتفويـض المصفقيـن والمهللين للمجـازر التي يبدو أن جيـوش العرب لا تتقن سـواها مع شـعوبها وعنترة فارغة مع العـدو الحقيقي.. كما لم يثـر هؤلاء ومنهم قوى مصرية ومعسـكر الأكاذيب الممانعـة ذلك المال الخليجـي الـذي تدفـق فجـأة علـى مصـر.. ولـم يثر اشـمئزازهم تهديدات أحمد شـفيق عبر يوتيوب عن " أصبحـت ايامكم وسـاعاتكم معدودة!".. كمـا يثيرهم مثلا أن يقول غاضب على الانقلاب العسـكري سنبقى نعتصـم لـو كلفنـا ذلـك حياتنا.. كمـا كلـف ذات يوم السـوريين حياتهـم فـي اعتصام سـاحة السـاعة في حمص..

ما جـرى في مصر لـن يجري في سـوريا لأنه لم يعد أصلا من "حماة ديار" بعد أن تحول الجيش السوري الـذي كان يفتخـر بـه القومجيـون إلى عصابـات نهب ملحقة بأوامر قاسـم سـليماني وميليشـيا حزب الله.. لكـن ما يمكن أن يحـدث هو أن نرى بعـد انجاز الثورة السـورية لأهدافها هؤلاء الذين يركبـون موجة الثورة ويريدون سـرقتها لتعيد انتاج نظـام مافيا بوجه آخر.. لكن الأمر لن يكون بتلك السهولة..

كانت ملاحظتي الأخيرة لأن البعض يسـتخف في قراءة انعكاسات ما جرى ويجري في مصر على الثورات العربية.. رغم أني متأكد بأن عقارب السـاعة لن تعود إلى الوراء، فقد كان عيدي أمين وكان بول بوت والخمير الحمر وكان بينوشيه وكل ديكتاتوريي أميركا اللاتينية وأفريقيـا.. ولم تبقهم جرائمهم بـل بالعكس غرقهم في دماء الشـعوب أدى بتلك الشـعوب إلى تحولات لابد أنها آتيـة رغم كل قوى الظلام العربية المتحالفة فيما بينها على إعادة عقارب الساعة إلى الوراء..

ثورة أم حرب أهلية

■ خالد كنفاني

هل لا يزال لدى أحد شك في قيام الحرب الأهلية؟

هذا ليس يأساً ولكنه واقعية، والفارق كبير.

اشتباكات بين الأكراد وعناصر القاعدة، اشتباكات بين فصائل كردية وعناصر من الجيش الحر، منازعات بين ثلاثة كتائب للسيطرة على أحد المخافر، إعلان كتيبة "كذا" بالانفصال عن لواء "أبو فلان"، نهب المعامل والمصانع في كافة أرجاء البلاد على أيدي الجميع، دولة العراق والشام تشتبك مع كتائب الجيش الحر في إدلب.

العناوين السابقة هي جزء بسيط مما يتسرب عبر نشرات الأخبار التي لا تزال تصر على عدم المهنية وعدم الحيادية الإعلامية في تغطية الثورة السورية. فهناك عشرات الأخبار التي ترد يومياً عن الصراعات الداخلية والاقتتال على الغنائم والمكاسب بين الفصائل المتقاتلة على الأرض إلا أن قناتي الجزيرة والعربية بالذات تصران على تجاهل كل ذلك بينما يتم الحديث عن مجموع القتلى متبوعاً بالجملة التقليدية "بنيران قوات النظام" لتغطية كل ما يحدث تحت بند واحد هو الثورة فقط.

يتحدث كل السوريين الخارجين من الجحيم السوري عن عشرات آلاف المسلحين المنتشرين في كل أرجاء البلاد تحت مسميات وشعارات وأهداف واستراتيجيات مختلفة. وبين المتعصبين المجانين والمتحمسين الأحرار توجد مئات الأطياف التي تريد فرض رؤيتها على ما يقع تحت سيطرتها من أراض. وقد بدأ ذلك مع انتشار "هيئات أمر بالمعروف ونهي عن المنكر" إلى وجود "محاكم شرعية" لا أحد يعلم من أوجدها ولا صلاحياتها، ناهيك عن فرض أتاوات وطلب فديات من الناس لإرجاع أبنائهم أو بدعوى الحصول على تسليح لقتال النظام.

تسيطر بعض الكتائب على حواجز عسكرية ومدنية مهمة ثم تجد الناس لا تزال تعاني الفاقة ولا تصل إليهم أية مساعدات. يتم إعدام الناس ميدانياً وهناك أحاديث عن معتقلات سرية وتعذيب لمعتقلين يتم القبض عليهم لدى الكتائب وهم ليسوا جنوداً في جيش النظام ولا عناصر أمنية وإنما مواطنون عاديون اختار بعضهم معارضة العنف أو معارضة النهب والسلب والاستيلاء على الأموال العامة.

وعودة إلى مسألة الحيادية الإعلامية، فبينما تقوم العربية بالحديث مطولاً عن عدم وصول الأسلحة إلى "الأيادي الخطأ" تقوم في الوقت ذاته بعرض صور لملثمين أو ملتحين حليقي الشوارب يعتمرون عصائب سوداء تحمل شعارات دينية لا تبشر بأي مستقبل أبيض، فعن أي "أياد خطأ" نتحدث؟

في كل النشرات الإخبارية للجزيرة والعربية لا توجد أية أرقام أو أخبار عن ضحايا أو قتلى للجيش الحر أو أي من الكتائب المتصارعة في سوريا وكأنهم لا يموتون أو لا يجرحون، وفيما عدا خبر الكمين الذي تعرض له خمسون من عناصر الجيش الحر في عدرا والذي لم تستطع العربية إخفاءه بسبب انتشار الخبر بشكل كثيف في كل مكان، لم تتم إذاعة أية خبر يتعلق بأضرار أو خسائر مادية أو في الأرواح في صفوف الجيش الحر وغيره من الكتائب المتقاتلة وهو أمر يثير الانتباه بسبب استحالة قيام حرب دون ضحايا إلا إذا كان لدى محرري أخبار العربية والجزيرة رأي آخر.

هناك فارق كبير بين دعم الثورة (أو ما تبقى منها) وبين الحيادية الإعلامية. وأكبر الأمثلة الصارخة على ذلك ما يحدث اليوم من تغطية لأحداث مصر. فبينما تتحدث العربية عن "الثورة الثانية" تتحدث الجزيرة وتركز على تظاهرات "إعادة الشرعية"، وبينما تطلق العربية على محمد مرسي لقب "الرئيس المخلوع" تسميه الجزيرة "الرئيس المعزول". وهكذا بان واضحاً تغير "الحيادية" و"المهنية" مع تغير السياسات وتغير المحاور، وهو ما نخشى أن يتفاقم مع تدهور الوضع في سوريا وتدحرجه نحو الحرب الأهلية الشاملة.

إن مسار الأحداث في سوريا لم يعد يترك مجالاً للشك في انفجار حرب أهلية شاملة ستجعل مما حصل في الحرب الأهلية اللبنانية مجرد نكتة. فالحقد والكراهية المتراكمان عبر عشرات السنين وجدا فرصتهما السانحة للانفجار اليوم والتعبير الحقيقي عما يجيش في صدور الناس طوال عقود طويلة. والحديث عن تعايش ووحدة وطنية ومصطلحات براقة لم يعد صالحاً سوى للاستهلاك الفلسفي الكلامي أو للتسويق للحصول على أموال جديدة للائتلاف الوطني والصرف على سفرياتهم و"متطلبات" المناصب الجديدة التي لم تعد تليق بمناضلين أو ثائرين وإنما بسياسيين متأنقين يلبسون أفخر الثياب وينزلون في أفخم الفنادق ولم تعد حياة الشظف التي عاشها بعضهم في الداخل مناسبة للمواقع الجديدة.

إن الثورة التي بدأت نقية وسلمية وعفوية تتحول اليوم إلى حرب أهلية طاحنة بثفة5عتوينزلون في أفخم الفنادق ولم تعد حياة الشظف التي عاشها بعضهم في الداخل مناسبة للمواقع الجديدة.

إن الثورة التي بدأت نقية وسلمية وعفوية تتحول اليوم شيئاً فشيئاً إلى حرب أهلية طاحنة لن تبقي ولن تذر، ويتم ذلك بأيدي سورية خالصة وبدعم عربي وأجنبي متعدد الاتجاهات والأطياف والتوجهات والخطط المستقبلية والحالية والتي تساهم يومياً في تمزيق ما تبقى من أشلاء الوطن الجريح النازف الذي تكالب عليه الجميع، أبناؤه قبل أعداؤه ووقف الجميع أمام لحظة الحقيقة التي تضعنا أمام مسؤولية تاريخية يبدو أننا لسنا أهلاً لها بعد أن أثبت رموز معارضتنا أهليتهم التاريخية والسياسية الفذة للقيام بمسؤوليتهم التاريخية الحقيقية وظهر جلياً عجزهم على كل المستويات الشخصية والاجتماعية والسياسية والفكرية والثقافية وساهموا بشكل فعلا في سقوط صورة المعارضة بشكل خاص وصورة السوريين بشكل عام وخاصة بعد القرارات الانفرادية والنزاعات الإعلامية والمناوشات الصحفية السخيفة والتي أبدت بجلاء كيف يسعى معظم هؤلاء لاهثين وراء المناصب والمراكز والشهرة تاركين معاناة الناس وآلامهم للصور والإخراج التلفزيوني وتسول الأموال.

إن من يتعيش على دماء الناس هم من يجرون البلاد إلى الحرب الأهلية الشاملة، ومن يدعون حماية الوحدة الوطنية هم أول من يقوضها بمهاجمتهم لطوائف معينة تحت دعوى محاربة الظلم أو قتال النظام. بينما يقوم داعموهم من الخارج و"أصدقاء الشعب السوري" بإشعال ما تبقى من فتيل انفجار الأزمة لتدمير الوطن وإعادته للعصور الوسطى من جديد.

إن تكرار نقد الأخطاء المريعة التي يسقط فيها كل من السياسيين والعسكريين لا يعني بحال من الأحوال تبرئة النظام من خطيئته الأولى بتدمير المجتمع والحياة والمستقبل، ولكن علينا أن تعترف اليوم بأن أصدقاء وحلفاء النظام كانوا حتى اليوم على يد واحدة، بينما كثرت أيادي أصدقاء الشعب السوري وكثرت حبالهم التي تجذب كل طرف وفصيل إلى حيث لا نهاية سوى الدم ولا مخرج سوى القبر.

إن المراحل القادمة من عمر هذا الوطن خطيرة جداً وهي تنبئ بتلاشي هذه البقعة من الأرض تحت سنابك الخيل التي لا ترحم، وعندما تنقشع هذه الغمامة سيكون الوطن قد أصبح أوطاناً ولكن للأشباح وليس للبشر، وإن من سيعيدون بناء ما تهدم سيكونون أجيالاً أخرى أكثر تفتحاً وأعمق تفكيراً وأكثر تحرراً من أفكار متخشبة وبالية كالتي تدعي قيادتنا اليوم. إن من سيبني سوريا القادمة لن يكون جيلنا ولا الجيل القادم بكل تأكيد، إنه جيل آخر مختلف كلياً ومتحرر من كل العوالق التي دمرت حياتنا وحطمت آمالنا، ولكن كل بذرة سنزرعها اليوم قد تكون غرسة لثمار الغد. من يدري؟

آخر الكلام: يقول طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كان خافياً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

من أظافر اطفال درعا إلى النصرة وأخواتها!

■ يامن المغربي

إحدى الصباحات الهادئة في محافظة درعا، درعا ابنة النظام، والتي حضنت أكبر قيادات الجيش السوري، منها، من حضن النظام، انطلقت أولى المظاهرات التي في هذه المرة لم تدعوا للرئيس بالعمر المديد، ولم تتضرع إلى اللّه لحمايته وآله أجمعين، مظاهرة هتف فيها الشعب بصوت واحد، الشعب يريد إسقاط النظام، وما لبثت أخوات درعا أن سمعت استغاثتها، ورنت حبال الكرامة في آذانهم، حتى صرخت سوريتهم في داخلهم يا درعا حنا معاكي للموت، الكثير من المدن الكثير من الأصوات، صف واحد ريف دمشق، حماة، حمص، إدلب وكثير ممن حلموا بإنتفاضة الشعب أخيراً، وبقيام الثورة شباناً كانوا أم شيباناً، وربما لم يصدقوا آذانهم وهي تسمع تلك الشعارات المدنية الرائعة التي خرجت من أفواه شعب تم تجهيله سياسياً وتوجيهه ثقافياً منذ الطفولة وعلى مدى عقود.

وفي الظروف التي تعيشها الدول العربية من تونس إلى مصر واليمن تحديداً، والأمل الكبير التي عاشته تلك الشعوب وباقي الشعوب العربية كأن لابد للشعب السوري أن يحلم باعادة تشكيل نفسه كما يريد، وبان يعود هو بثقافته ومكانته، وأن تصبح للحرية في قاموسه مكان، عدوى الحلم لم يبقى لها حدوداً مرسومة، كما حدود الطغيان الذي رسمتها الديكتاتوريات، ولأن في سوريا من وصل الجهل بهم حد العُمي، لم يرق ذلك للكثيرين، سواءً في الداخل السوري أو من الأنظمة الداعمة لذلك النظام، فكان الرصاص هو الحل بالنسبة لمافيا، ضربت جذورها بالبوط العسكري، خلال عقودٍ، بالتاكيد لا ينكر أحد قوة النظام السوري سياسياً وعسكرياً، فهو وليد نفسه، كون كيونونته بأظافره، لعب بالأوراق على مزاجه، طرح الحل أ للخطة ب، وعالج المرحلة م بعلاج أ، مما أدى إلى ظهور أسوأ جملة كررها الشعب، غباؤهم ينصرنا، إذ لم يكن ما حدث غباءً، بل كان رؤيا وبعد نظر، واستراتيجية شيطانية بأصابع آل الأسد، أين نحن منه، اليوم ليس للسوري سوى الذكرى، وبعض من الأمل، ليس له يوى ألم في حباله الصوتية وارتجاف في أطرافه حنينا لأيام كانت تدعى ـ سلمية سلمية..

نجح النظام السوري وبعد أشهر بإثبات كل ماقاله: تكفيريون، سلاح، عناصر غربية، شيشان، أفغانستانات، إقليمية، دولية، وغيرها، بغض النظر عن كيفية اثباته إلا أنه تم إثباته وشن حربه الشعواء، التي يخوضها طرفين أو أكثر، وحوّل الثورة الأجمل في تاريخ سوريا، إلى حرب وكالة بأيدي القوى الكبرى في العالم.

أين هو الشعب السوري اليوم؟

تشريد ولجوء ونزوح، لينجح النظام وبعض الكتائب المسلحة والنصرة وأخواتها إلى تحويل الشعار الأول في منطقة الحريقة في دمشق "الشعب السوري ما بينذل" إلى شعار وهمي وليذوق الشعب السوري أنواع الذل عبر التاريخ بل واختراع أنواع جديدة للذل لممارسته على السوريين في الداخل والخارج من عناصر سورية أم من غيرها!..

وإعلام لا يريك سوى زاويته، يدّعي الإنسانية ويداه شريكتان بقتل السوريين جسداً وروحاً، سواءً من إعلام النظام إلى القنوات الأخرى التي تدعي المحبة والشفافية، والموضوعية، ومساندة ثورة، نزفت سوريا من أجلها كل مخزونها الاحتياطي من الدماء، كل تقرير من هؤلاء يزيد المغترب في الخارج جنوناً وغضباً وحزناً وربما نواحاً، من العصابات الارهابية التي روعت الامنين إلى المجاهدين او الثوار، كل حسب ما يريد أن يسمي هؤلاء، وكل حسب توجهه وما تريده الدولة الداعمة لهذه المحطة او تلك، اهتف للعرعور وإلا لن تبث المظاهرة على الهواء مباشرة، وأدى هذا التشويش إلا أخلاقي على الأحداث إلى ظهور اعلام شبابي ـ بديل ـ من هاتف نقال اصبح علامة وطريقة جديدة يتعلمها طلاب كليات الاعلام في انحاء العالم، إلى فتاوى العلماء بالجهاد في سوريا، بالجسد او بالمال او حتى بالنكاح والدعوات الصريحة لارسال الفتيات إلى هناك لمساعدة الثوار وقضاء حاجتهم الجنسية حتى وان كانت بالمداورة، وليتنا راينا واحدا من هؤلاء العلماء ينفذ ما افتاه ونراه واقفا في ساحات القتال، وكانما اصبحت مهمته التضحية بهؤلاء الشباب وارسالهم إلى الموت، لينطلق الشعب السوري من مظاهرات تحمل الماء والورود يشارك فيها السوري بجميع طوائفه وإنتماءاته، السوري بإنسانيته، ليصل إلى معبر يقسم حلب إلى شرقية وغربية ولربما ستبقى هذه التسمية حتى وان عادت سوريا اجمل مما كانت!..

والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم في ظل كل هذا الخراب والذل والقمع وللشهداء والمغيبين والمعتقلين والوطن المتهاوي.

ماهو الحل؟!

لربما لا يوجد حل واضح سريع يمكنه انقاذ سوريا، خاصة مع تخلي الكثير من السوريين عم مبدا السلمية وتغلغل الكثير من العناصر الاجنبية في الداخل السوري بل واصرار النظام على الاستمرار في ممارسة قذارته باعتقال من تبقى من الشباب او المثقفين القادرين بشكل او باخر على اعطاء الحلول وغياب معارضة وطنية حقيقية قادرة على معرفة التاريخ السوري ومعرفة الحاضر وقراءة المستقبل والمصالح السورية والاوراق التي يمتلكها من يدعم هذا الطرف او ذاك..

أن لم يكن الحل سوريا واحدة موحدة، فلا حل وان لم يعد السوريين لشعاراتهم الاولى، فلا حل وان لم يوجد قوة وطنية حقيقية من الداخل السوري لا من ثوار الفنادق في الدوحة واسطنبول لا تراهن على قوى خارجية ولا على النظام السوري فلا حل!..

ومع معرفتنا بتعنت النظام السوري وبانه لن يسمح بتشكيل قوة كتلك ولن يسمح لها حتى بأن تكون بذرة في ارض الوطن ومع معرفتنا بأن ثوار الفنادق في الخارج وقفوا في وجه الثورة إلى جانب النظام، وبان الحسم العسكري لا احد قادر على تحقيقه، وفي ظل غياب الأمل، وانتهاء زمن المعجزات، ليس للسوري إلا السوري، الالتفاف على عود الوطن، والاعتصام بحبل سوريا، والعمل بسياية اليد الواحدة، للتخلص من الأخطر تلو الأخطر، لنجد يوما صباحا هادئا آخرا، يتظاهر فيه أهل درعا لأنهم ملّوا الحرية أو أن سعر البندورة قد انخفض كثيرا، أو لربما لأنهم لا يجدون عاطلاً عن العمل جالسا على المقهى..

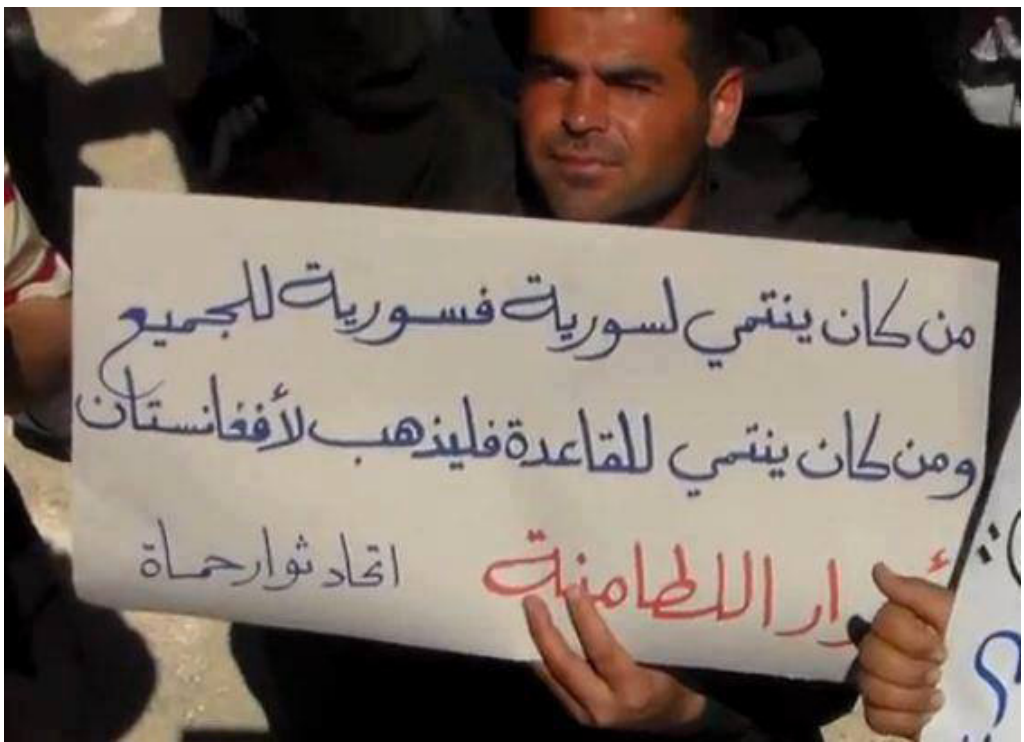

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1994 - 1991

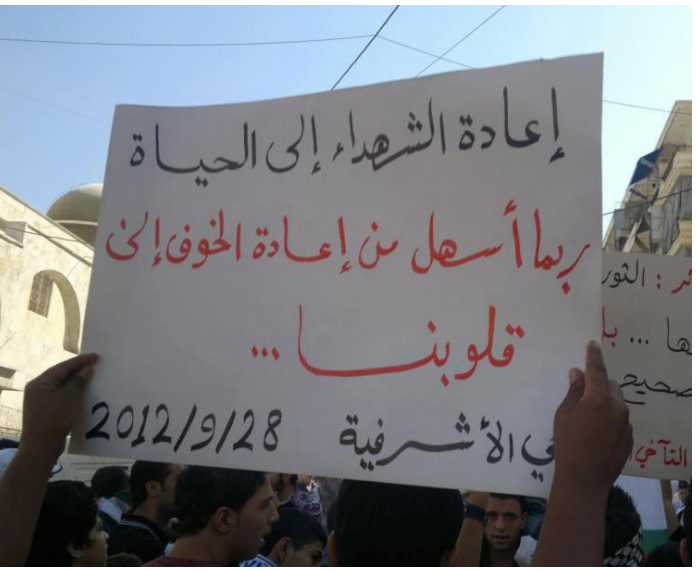

اليوم السابع 7 / 2

يمر الأسبوع خلف الأسبوع والشهر وراء الشهر كمثل الحلم، والأحداث حولنا كثيرة.. متتابعة تمر وتخلف ضجيجاً ونقاشاً. تمر نوبات من البرد الشديد ونرى من وراء الشبابيك نتف الثلج، ونسمع عواء الرياح يتردد، فيقطع تسلسل الحديث والنقاش.. أن هناك نزق داخلي لدى كل واحد منا وتؤازر الطبيعة السجن فالجلوس المتواصل في هذا المهجع هو الدفاع الوحيد ضد البرد وضد هذا السجن. إننا نحاول الحياة ضد أسباب الفناء المحيطة بنا. يعمل الصقيع من الجسد إلى النفس يلاحقهما يمزقهما ويسد طريق الحياة. يحاول منع التنفس.

ورغم ذلك نلاحق الإذاعات، نستمع إلى إذاعة لندن ونقول: إنها – مذ وجدت – تخدم الدولة الاستعمارية الأعرق في العالم، فهي مضللة تبدو كأنها مع قضاياك وهي ضدها. أما إذاعة "مونت كارلو" فهي أكثر حرارة، وتبدو أنها مع العرب ولكنها مع الثقافة الاستعمارية. و"صوت أمريكا" تحاول أن تشرح وتعلّم الديمقراطية. ربما توجد في هذه الدولة التي تحاول أن تكون وريثة الاستعمار بعض ملامح الديمقراطية في القضاء، في البلديات، ولكنها تكذب على العالم أنها ضد الدكتاتوريات في العالم. إنها تدعم مصالحها ولا يهمها النظام.

لقد كانت داعمة لنور السعيد وشاه إيران وماركوس وضياء الحق ضد شعوبهم، وهي مع النظام السعودي وهي مع حافظ الأسد. ومع مبارك وليست ضد القذافي ولا ضد الأنظمة الأخرى ولكنها ضد الشعوب. هذا العالم الحضاري الذي نهضت به الطبقة الوسطى والتي كانت وراء الدولة المدنية والفكر الحر والحوار الفكري وتقدم العقل وانحسار المؤثر الديني.

هذا العالم ظل فوقياً واستعمارياً تجاه الأمم الأخرى وغير إنساني، وكأن الحضارة والتقدم العلمي يبرر الاعتداء على الأمم الأخرى وسحقها وإلغاء وجودها وحضارتها من هنا نفهم حرب الخليج ونفهم ماذا تريد أمريكا وانكلترا المؤيدة والغرب المتباكي وهذا يقودنا إلى فهم الدور المنوط بإسرائيل الجالسة على صدورنا وقلوبنا.

اليوم الثامن 8 / 2

حياتنا ملأى بالقلق والاضطراب والعطب، لقد نخر السجن أعماقنا وعندما يقيّض لإنسان من الخارج أن يستمع إلينا يخيل إليه أنه يستمع إلى أناس غرباء من عصر غير هذا العصر. لقد سخنا وساخ السجن وتطاول الصدأ على الأبواب، وعرّش فوق القضبان والزوايا والأسنة.

عندما نرى عصفوراً نزداد عجباً، وعندما أشعة الشمس تتسلل إلينا نشهق ونستيقظ من موتنا. السجين طفل يضحك بلا سبب، ويبكي بلا سبب، ويغضب بلا سبب. محاولات لدى السلطة لمحو الذاكرة ومحو التوازن ومحو الرأي، وقد حققت هذه المحاولات جل أهدافها. ولكن الكواكبي رحمه الله صاحب " طبائع الاستبداد " الذي قارع استبداد عبد الحميد يؤكد أن الاستبداد ينهك البلاد ولا بد من رحيله والشعب هو الباقي.

إننا منطرحون على الأرض ومتكومون كما الفواكه في البرادات. صحيح أن الفواكه لا تفقد شكلها لكن مذاقها يذهب وطزاجتها تزول. نحن مثل هذه الفواكه. مظلم هذا السجن، وكل السجون التي مرت علينا. لكن متى كان السجن منوّراً ومشرقاً وخاصة " شرقي المتوسط ". طرح أحد الشباب أن المستفيد الأول من حرب الخليج هذه هي إسرائيل قائلاً: يرفض العرب المتعاملون مع أمريكا ربط حرب الخليج بالصراع العربي الإسرائيلي، وكان هذا الربط يعقر ظهورهم.

لقد ظهروا وكأنهم أبطال تحرير. هؤلاء أصحاب التوازن مع العدو وهم –والله- العائق لشعوبهم لخوض معركة التحرير. لقد بدأ يطفو على السطح الحلف العربي – الإسرائيلي الأمريكي ضد العراق وشعبه. وقد انضمت انكلترا لهذا الحلف للسطو على نفط العراق ثم التحق كل الغرب بهذا الحلف. وأما الاتحاد السوفيتي فيبدو عاجزاً بسبب "رسن" إعادة البناء والديمقراطية.

اليوم التاسع 9 / 2

اليوم زارتني الصديقة القديمة والزوجة المخلصة افرنجية بوجهها الشاحب وثباتها وتطلعها الحزين. كانت ترتجف برداً وغيظاً، لقد انتظرت عند الباب الأسود أكثر من ساعتين ونصف، ثم مشت مسافة نصف كيلو متراً، وصعدت أكثر من عشرين درجة حتى وصلت غرف الزيارات في جو بارد. سألتها عن الحال، أجابت: لا بأس. وفهمت من نظرتها وحركة حاجبيها أن التعليمات تؤكد على التكلم فقط في الصحة والعافية والأمور البيتية.

قالت: - أن مواداً كثيراً قد منعوا دخولها كاللبن والمكدوس، سألتها عن الأولاد، أجابت: - أن رجل البيت هو قصي البالغ من العمر خمسة وعشرين عاماً وهو يعمل ووأن خزامى قد سجلت بالمعهد الرياضي وتمت خطوبتها لشاب من دير الزور يدعى مازن العاني.

أما ريما التي تركتها ذات تسعة أعوام فهي تستعد لتقديم امتحان الثانوية. وعن البيت قالت: أنه خال من المستأجرين لكننا عندما نشعر بالضيق نؤجر غرفتين منه أجراً سياحياً لمدة معلومة، سألتها: هل تذهب إلى الضيعة؟.. قالت: يعاني الريف من العوز. عندما قرأوا إسمي كي أستعد للزيارة كنت أقرأ كتاباً يقارن بين تولستوي ودوستوفسكي، والفرق الاجتماعي بينهما وما الفرق بين رؤيتهما، عنوان الكتاب: "الفن والمجتمع عبر التاريخ". أما الثاني لأرنولد هاوزر ترجمة د. فؤاد زكريا.. يا له من تحليل مشوق، هذه الكتب تخرجني من السجن.

اليوم العاشر 10 / 2

أن انتقال الأخبار بين المهاجع يتم بشكل مثير.. أحدنا قال: - أن الموقف السوري منضو تحت الخيمة الأمريكية، آخر قال: ليس ذلك غريباً، فحافظ الأسد جاء إلى سدة الحكم بتفويض أمريكي، ودخوله إلى لبنان كان بضوء أخضر أمريكي، وللقضاء على حركة التقدم التي تشكلت من الحزب التقدمي الاشتراكي والحزب الشيوعي والحزب القومي السوري، بالتعاون مع ياسر عرفات لدحر الكتائب.

ليس غريباً أن يسكت الإعلام الأمريكي ومعه الإعلام الأوربي إلا ما ندر عن مجازر حماه ومجازر سجن تدمر.. أظن أن الإذاعات التي تؤيد العراق وتشجعه هي إذاعات مشبوهة، ما يثير كذلك هو السكوت التام عن ممارسات النظام السوري. لقد تكلم تقرير لجنة حقوق الإنسان عن هذا النظام وأدرجه في القائمة السوداء.. البعض يرى أن العراق يقود حرباً ثورية ضد النفط الخليجي والسعودي وضد أمريكا وضد أعوانها.

اليوم الحادي عشر 11 / 2

في هذه الأيام حياتنا مضطربة قلقه ملأى بالترقب، وكذلك ملأى باليأس. عندما اعتقلنا في نيسان 1982 كنا نعتقد أن هذا النظام سيفرج عنا قريباً، وكما قال المحققون أننا لن نتجاوز الأربع أو الخمس سنوات، وهكذا مضت آلاف الأيام والآن تجاوزت الثلاثة آلاف يوماً. ومنذ جرى احتلال الكويت وضمه، استقر رأينا أن سجننا يمتد للأبد، فالنظام لا يتعرض للضغوط وحرب الخليج قوّت من عضده. والشرق مع الغرب صامت على ممارسات النظام في لبنان.

البعض لازال يتكلم عن العراق الثوري والبعض يقول أنه لو تبين لأمريكا واحد بالمئة أنها تخسر الحرب لما خاضتها بمساعدة أوربا وأكثر دول العالم مع عرب الخليج ونفطه والمملكة العربية السعودية ومؤازرة مصر. الذين يدافعون عن النظام العراقي ويعتبرونه قيادة صالحة للثورة كوضع وثورية هوشي مين في الفيتنام، أو ماوتسي تونغ في الصين ينسون أن كلا النظامين انتصرا على الاستعمار بفعل التلاحم المصيري بين الشعب وبين قيادته.

هذا الأمر ليس لدى صدام حسين ولا حافظ الأسد ذرة منه إنهما نظامان جاءا بموافقة أمريكية وقد دعمهما المال النفطي المرتبط بالبورصة الأمريكية وأقاما - كلاهما - سداً منيعاً بينهما وبين الشعب. النظام السوري في شباط 1982 قتل ما ينوف عن ثلاثين ألفاً دون أن يرف له جفن لكي يبقى في الحكم وينجز برنامجه المعادي للقيم العيش وللوطن، وهو يفرض بالحديد وبالنار أن يخلد الشعب ذكراه وحكمته وعقلانيته. هذه الأنظمة الفردية والشمولية والقاهرة والمدمرة لأرض وطنها وشعبها، الذي لا يزال يعيش على التواكل، لا يمكن لها أن تخوض حرباً شريفة لصالح الشعب والوطن.

ما أشبه اليوم بالأمس

■ زليخة سالم

ممارسات النظام وأتباعه في سرقة الآثار، والكنوز التاريخية، وتهريبها، والاستيلاء على الأراضي، واستملاكها لمشاريعهم الخاصة، ولزرع كانتونات لهم في المناطق المستهدفة، تحولت بعد الثورة إلى عمليات ممنهجة تشارك فيها بعض الكتائب المتشددة، التي استقدمها النظام لدعمه في القضاء على الثورة والتعاون معاً في قتل الشعب السوري وتهجيره وتدمير ممتلكاته وسرقتها وإحراق أكثر من 1450 مسجداً وخاصة التاريخية منها، واستهداف أهم المواقع الأثرية من الجانبين.

وأراد النظام بهذا أن يبين للسوريين أولاً وللعالم أن البديل سيكون دكتاتورية دينية لاتقل إجراماً عنه، وهذا ما بدا واضحاً في المناطق المحررة التي استوطنتها الكتائب المتشددة بعد تحريرها من الجيش الحر، وعاثت فيها فساداً وتنكيلاً بالأهالي، ما دفع أهالي الرقة وحلب ومناطق في إدلب إلى التظاهر احتجاجاً على هذه التصرفات.

نحن نتعامل الآن مع احتلال وغزاة جدد يدمرون تاريخ سورية وينالون من رموزها، بهدف طمس هويتها وثقافتها وجذورها وتغيير ديمغرافيتها، خدمة لمشروع أسيادهم الإيرانيين في إعادة الإمبراطورية الفارسية.

لم يعد خافياً على أحد دور هذه الكتائب كما النظام تماماً في تدمير سورية وتاريخها، وما كان يفعله شبيحة النظام بالأمس واليوم، تفعله هذه الكتائب، وبصورة أبشع والأمثلة كثيرة نذكر بأهم المناطق التي استهدفت من الجانبين:

- تدمير سوق حلب القديمة في شهر أيلول من العام الماضي، أكبر سوق شرقي مسقوف في العالم بمساحة 16 هكتارا وبطول يصل إلى 16 كيلو متراً ويعود بنائه إلى القرن الرابع قبل الميلاد، حيث شيدت معظم أجزاءه وأطلق عليها أسماء المهن والحرف المزاولة فيها مثل سوق الصوف، والصاغة، والتوابل، والعطارين وغيرها، بالإضافة إلى الخانات المتواجدة حول والتي كانت منذ ذلك التاريخ محط ترحال التجار والزوار.

- تدمير جسر دير الزور المعلق الذي بناه الاحتلال الفرنسي على نهر الفرات في العشرينات من القرن العشرين وهدمه الأسد في شهر أيار الماضي من القرن الواحد والعشرين، وهو ثاني جسر في العالم مبني بالأسلوب الغربي لبناء الجسور ومن أهم معالم مدينة دير الزور.

- تدمير مسجد القائد العربي الصحابي خالد بن الوليد درة مساجد حمص العدية والذي يعود بنائه إلى القرن السابع هجري، القرن الثالث عشر ميلادي أيام الظاهر بيبرس، وأعيد بنائه في القرن التاسع عشر أيام السلطان عبد الحميد الثاني، هدمه النظام خلال الشهر الماضي.

- تدمير مئذنة الجامع العمري في درعا وهو أحد الجوامع الأثرية، ويعود إلى بداية الفترة الإسلامية، وأمر الخليفة عمر بن الخطاب ببنائه أثناء زيارته للمدينة، وتم قصف مئذنته في شهر نيسان الماضي بعد العديد من أفعال التخريب التي قام شبيحة النظام منذ بداية الثورة، انتقاماً، لأن الجامع كان منطلق لأولى مظاهرات درعا.

- قطع رأس تمثال الشاعر والفيلسوف والأديب العربي أبو العلاء المعري في شباط الماضي من قبل جماعة متشددة في القرن الواحد والعشرين، في حين اشتهر المعري في العصر العباسي بآرائه وفلسفته المثيرة للجدل ومهاجمته للأديان وترجمت كثيراً من أعماله إل غير العربية.

- ولن تكون جريمة إحراق السجل العقاري في حمص الأخيرة لتنفيذ مخططهم في إحداث تغييرات ديمغرافية المدينة، فحرق كل الوثائق والمستندات التي تثبت ملكية أهالي حمص لممتلكاتهم تهدف إلى طمس هوية المدينة، والاستيلاء على العقارات لتوطين عناصرهم المشبوهة من حزب الله وإيران، وهي مفارقة أخرى أن الانتداب الفرنسي هو من نظم وحدد الملكيات وحددها، والأسد هو من أحرقها.

- ويتم حالياً محاولة تنفيذ نفس المخطط في السويداء من خلال منح عناصر حزب الله الجنسية السورية وبأسماء من عائلات المحافظة.

في فلسطين نسمي مثل هذه الأفعال بتهويد الاحتلال الإسرائيلي للقدس والمدن الفلسطينية الأخرى، ونحن ماذا سنسميها وهي تتم بأيدي أبناء البلد أو هكذا كنا نظنهم؟ هل نسميها أسدنة أو فرسنة؟ أو ماذا؟ لأن كل المصطلحات القذرة تعجز عن وصفهم.

ولمصلحة من تتم عملية طمس الآثار والتاريخ والهوية في كل من سورية وفلسطين؟ ومن المستفيد من هذا غير الاحتلال الإسرائيلي وحلفائه من الحكام العرب.

عمليات القرصنة على الآثار والأملاك ليست محصورة فيما بعد الثورة وإنما بدأت منذ بداية عهد آل الأسد وتحول عائلته إلى غيلان يتحكمون بالعباد وبمقدرات البلد، وتخريب المواقع الأثرية وهدها للنبش عن الكنوز والذهب بداخلها والأمثلة كثيرة بعدد المناطق السورية، والمثل الماثل أمامي الآن هي بلدة براق الجنوبية في محافظة السويداء والتي كانت تنتصب على قمة جرف صخري بمحاذاة الوادي الجاف الذي هو فرع صغير من وادي راجل، كان فيها أسوار وبرجين متصلين بالأبنية السكنية، واحد منهما بني بأحجار مشذبة وجدرانه مزينة بالنحت والحلي الحرارية، والآخر بني في الفترة المسيحية المتأخرة.

البلدة التي تطل على المناطق المجاورة، وكتب عنها الكثير من الرحالة وعلماء الآثار أصبحت أثراً بعد عين وكومة من الحجار بعد أن غزاها أحد أبناء الأسد وأقام فيها مخيماً مغلقاً منع حتى الأهالي من الاقتراب، حتى انتهت البلدوزارات والآليات الثقيلة من نبش المنطقة وإحالتها إلى خراب وكومة أحجار.

بلدة براق ليست البلدة الوحيدة في الجبل التي تعرضت للتخريب والنهب كما كل المناطق الأثرية في سورية، وسرقة كنوزها، وإخفاء ملامحها، وإحالتها إلى ركام

وإنما كانت حملة ممنهجة طالت جميع مناطق سورية، لأن هذه العصابة تعاملت مع سورية بكاملها وكأنها مزرعة لها، تصول وتجول فيها، تبيعها تنهب خيراتها تهجر أهلها، في ظل الصمت المطبق من الشعب الذي حيده الخوف من القمع والإجرام الذي طال الصغير قبل الكبير.

هذا الوقت انتهى واستفاق السوريون على مدى فداحة خطأهم في الصمت عن الجرائم التي كانت تحصل، ونحن الآن ندفع ثمن صمتنا وخوفنا، ثمن غال ومرتفع، إلا أنه لاخيار أمامنا، وإلا ستحكمنا هذه العصابة مئات السنوات.

كل القتل والدمار والسلب والنهب والتهجير لن يثنينا عن الاستمرار في ثورتنا أو ثوراتنا لأننا أصبحنا بحاجة إلى ثورات وأهمها ثورة على الذات والسير قدماً.

والنصر لثورتنا..

إحسان الجابري 1879 - 1980

■ ياسر مرزوق

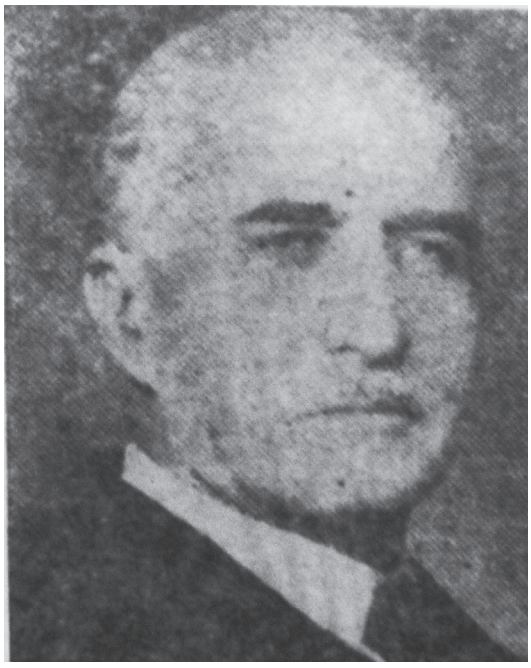

ولد إحسان اللّه بن عبد القادر لطفي الجابري، في مدينة حلب عام 1879 لآل الجابري أكثر الأسر الحلبية وجاهةً ونفوذاً " راجع، سوريتنا، سعد اللّه الجابري، والده الحاج عبد القادر الجابري مفتي حلب.

تلقى إحسان اللّه دراسته الأولى في مدينة حلب، ثم انتقل إلى الأستانة فدرس العلوم الإدارية والسياسية وعمل مع شباب العرب فيها وسجن مراراً، وتخرج من كلية الحقوق حاملاً شهادة الدكتوراه برتبة " علي الأعلى ". اتصل بالهيئات السياسية والجمعيات الوطنية العربية التي تنادي باستقلال البلاد العربية، فأدخل السجن ثانية عام 1902 وقضى فيه ستة أشهر بتهمة تلقيه رسائل من عبد الرحمن الكواكبي. مارس المحاماة في استانبول من 1902ـ 1904، ونال في هذه الأثناء جائزة الشعر بالتركية.

تزوج إحسان الجابري كريمة " شفيق باشا الكوراني " وزير الأمن العام " الضابطة " في العهد العثماني، الذي ساعده في الدخول لسلك الوظيفة في الدولة العثمانية، حيث عُين ترجماناً لوزارة الضابطة ثم كاتباً أولاً، وترقى في الوظيفة إلى أن أصبح رئيس ومفتش تنسيقات وتنظيمات الشرطة العامة، ثم أمين سر السلطان محمد الخامس فمحمد السادس. وفي عام 1913 حضر مؤتمر باريس الذي وضع قرارات هامة تضمنت مطالب وحقوق العرب في ظل الإمبراطورية العثمانية.

رزق الجابري بابنتين وغلام توفي صغيراً، وتزوجت ابنته الكبرى بالزعيم الفلسطيني المشهور " موسى العلمي " الذي افترقت عنه بعد عهدٍ طويل من الزوجية وتزوجت بوصفي التل رئيس الوزارة الأردني وظلت في الأردن بعد مقتله واستوطنتها، بينما تزوجت كريمته الثانية بقريبها المهندس " مجد الدين الجابري " الذي تولى بلدية حلب، فوزارة الأشغال العامة، وانتخب نائباً عن حلب، ومع انقلاب الثامن من آذار عام 1963 غادرت وزوجها إلى الكويت واستقرت هناك.

مع الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني، وفي عهد السلطان محمد رشاد توسط له أخوه نافع باشا لدى حكام العهد فعينوه كاتباً رابعاً في الديوان الملكي وارتقى في الوظيفة إلى الدرجة الثانية.

عاد إلى سورية بدعوة الملك فيصل حيث عُين رئيساً لبلدية حلب سنة 1919، ثم اختير عضواً في مجلس الشورى، فاشترك في إعلان استقلال سورية بصفته كبير الأمناء ورئيس ديوان الملك فيصل.

حضر الجابري معركة ميسلون عام 1920 فخرج مع الملك فيصل من سورية، وحكم عليه الفرنسيون بالإعدام وحجزوا أملاكه، فأقام في سويسرا مع الأمير شكيب أرسلان وغيره يعمل لاستقلال بلاده. وكان نوري السعيد على رأس من يعينهم في نفقاتهم، دعاه الجنرال غورو بكتاب رسمي مؤرخ 20 / 11 / 1920 للمفاوضة معه، لكن لم يتم الوصول إلى اتفاق، فاضطر لمغادرة باريس إلى جنيف حيث انتخب عضواً دائماً في المؤتمر " السوري ـ الفلسطيني" للدفاع عن القضية، وقد اشترك في هذا المؤتمر حزب الاستقلال والوفد الفلسطيني وممثلون لأمريكا الشمالية والجنوبية من العرب في المهاجر الأمريكية، وتألف المؤتمر من " إحسان الجابري، وشكيب أرسلان، وسليمان كنعان وبعد وفاته انتدب رياض الصلح ". وبقي الوفد يعمل بكل ما أوتي من قوة حتى كانون الأول عام 1923 أي بعد أن حضر مؤتمر لوزان.

سافر إحسان اللّه عام 1923 بدعوة من الشريف حسين إلى عمّان حيث حضر المؤتمر العربي فيها، وتمكن من دخول سورية وهناك أسس جمعية حقوق الإنسان فأقبل الألوف من الشبان في المدن السورية على الانخراط في عضويتها، ومنها انبثق حزب الشعب وبعده الكتلة الوطنية. وعلى أثر هذا النشاط حاولت السلطة الفرنسية إلقاء القبض عليه إلا أنه تمكن من الهرب إلى تركيا، فحكمته السلطة الفرنسية للمرة الثانية بالإعدام، وغادر تركيا إلى سويسرا ومكث هناك حتى عام 1926، حيث دعي إلى باريس مع لطف اللّه وشكيب أرسلان لعقد معاهدة، وفعلاً تم الاتفاق ووقع بالأحرف الأولى، ولكن مجيء بوانكاريه إلى الحكم سبب تأخير الأمر، فعاد إلى سويسرا وأصدر في جنيف مع الأمير شكيب أرسلان مجلة باللغة الفرنسية بعنوان " الشعب العربي" للدفاع عن حقوق العرب والدفاع عن سورية.

بعد عقد معاهدة 1936 بين الحكومة السورية وفرنسا، وصدور العفو العام عاد إحسان اللّه إلى سورية، وبعد شهرين أجبرته الحكومة على قبول محافظة اللاذقية، وبقي هناك ما يقرب السنتين بمصارعة الانتداب الفرنسي، وفي نهاية العهد الوطني اعتقل وحددت إقامته في عينطورة في لبنان مدة أربع سنوات.

ثم عاد إلى حلب، وبعد وفاة أخيه سعد اللّه الجابري، انتخب نائباً عن حلب وترأس قائمة الوطنيين، كما انتخب رئيساً للجنة الشؤون الخارجية فبقي فيها طيلة نيابته، وأعيد انتخابه عام 1954، وترأس التجمع القومي إلى أن تمت الوحدة بين مصر وسورية فترأس اتحاد الدول العربية.

وبعد اعتزاله السياسة أقام في القاهرة حيث توفاه اللّه ونقل جثمانه بالطائرة إلى عمّان في 11 / 3 / 1980، ومنها جواً إلى حلب حيث دفن هناك.

وُهب إحسان اللّه ذاكرة فذة، وكان يكتب مذكراته يوماً بيوم، وبلغ من أهميتها أنه عرض عليه مبلغ ستين ألف دولار في عام 1935 فرفض. لكن هذه المذكرات تلفت في منزله بالقاهرة أثناء غيابه في حلب وتحت ضغط أصدقائه حاول كتابتها من جديد، فوصل فيها حتى عام 1927، ومرة أخرى سُرقت منه وهو قادم بالباخرة من بيروت إلى الاسكندرية.

له مؤلفات باللغة التركية:

(موقع اقتدار)، (الاشتراكية المثلى).

نال إحسان الجابري عدّة أوسمة وميداليّات، أبرزها: "الوسام المجيدي الأوّل"، "الوسام العثماني الأوّل"، "وسام كورون ديروس الألماني الأوّل".

يبقى إحسان الجابري نموذجاً لطيفٍ من الساسة السوريين الذين دخلوا معترك الحياة السياسية من باب القرابة والولاء العائلي، ولعل التاريخ يعيد نفسه في وجوهٍ تتنكب لواء المعارضة السورية تحت مسمى العائلات الوطنية دون أن تضيف لتاريخ هذه العائلات ومواقفها الوطنية.

قال عنه الدكتور " عبد الرحمن الكيالي، في مذكراته التي نشرها باسم المراحل " أنه لما تولى منصب محافظ اللاذقية، أساء الإدارة وأساء السياسة وبذر الأموال ومثل الروايات وادعى الادعاءات التي تصدر عن رجل سياسة في تلك الظروف الحرجة ".

سمو الامير عمر طوسون والى يمينه الامير شكيب ارسلان والى يساره احسان الجابري بك وقد زارا سموه امس فى قصره على اثر وصولهما الى الاسكندرية قادمين من سويسرا فى طريقهما الى بيروت بعد صدور العفو العام عن المبعدين السياسيين وقد ظهر فى الصورة الى اقصى اليسار محمد فهمى الناشورى باشا وخلفهم فى الوسط الاستاذ عباس المصفى والاستاذ محمد على الطاهر

جمهورية الدم الأحمر

■ زياد رائد

اخلع ثيابكَ، كي لا تلوثَ بنبضكَ مهرجان الدمْ.
غيرُ مرحبٍ بكَ في عرزالنا الأحمرْ، كمن معك من أرواح. (نبضُ حارتنا) (لنا) (كقطيعْ).
اخلع بنزاقةٍ كَعبَ الطهارةِ وتقدم. (هُنا) نركع لِدمِ الجُمهوريةِ المَلكية.

ادخل مملكتي بأحمرِ كتلتك، واذضح معنا. بِسرّكَ المُقزز (دمْ).
احتفالٌ مرقّعٌ، (لنا) (نحنُ) عبيدَ الشخصْ.
اخلع حذائِك المصنوع من جلدتنا وانحدر (معنا) أيّها الأرتعْ. (واحتفلْ).
بقَتلنا إياكَ، (بأخيكَ) (بأبيكَ) (بعمكَ) (بالجَمعِ المُبين).

فنحنُ.. هنا.. (جمهوريةٌ للدمْ)
نَصنعُ من ذاتِنا رماداً لنا، ونعبدُ (الشخص)
على حائِطنا الأبيضِ (بدّلنا) و(ذَبحنا) الصوتَ بأزيزِ الّرد
(نحنُ) كجُمهوريةً (للدم)
نحتفلُ الآن

لسنا عسكرٌ ولا تبّعٌ للشعب، نحنُ أساطيرُ الذبحِ والقذفِ والنم
ادخلْ بربعكَ الخالي من الدم (بَلدنا)
فقدْ عيناً على عرشِنا أزيز الرصاص

نكبّر، نكفّر، نقتل، نُعبُد الذات و(نقتل)
طقوسُ الحياةِ (رَسمنا) فَوقها (المِدفعْ)
وبالأقربينَ منك (نرتع)
لنا ذاتنا (جمهوريةً من رصاص)

غيرُ مرحبٍ بكْ، لا تَنظر، لا تَرفع، لا تَدقع.
اعبُد ملكنا الجمهوري الواحد وترجل من على الرأسِ و(اذبح)
عَلَمُنا أحمرٌ، وعلى كلِ رصاصةٍ حفرنا اسمَ قاتلنا
وفي كل (سَطلٍ) من دمكَ رمينا اصبع

خذ موضِعك على حَجرٍ (رأس)، في منتصفِ حارتنا
لنرسم بورتريه لذاتكَ (لذاتنا) بدمكَ المخضّب بالكذب
اياكَ إلا تعبدَ قِدرَ (الجُمهوريةِ) الاحمرْ
أتعلم؟ لقد حفرناكَ خاروفاً على مذبحٍ للدمْ
انتبه إلا تنقطَ من انسانيتكَ على أرضِ بلدنا الأحمر
واحتفلْ

كريم أوكتم:
أمة غاضبة: تركيا منذ عام 1989

■ ياسر مرزوق

تركيا الحديثة هي موضوع كتابنا اليوم الذي يعرض له الباحث التركي كريم أوكتم، الأستاذ في المعهد الشرقي، والحائز على شهادة الدكتوراه من جامعة أكسفورد، وقد اختار الباحث عام 1989 كانعطافٍ تاريخي لتركيا التي برزت بعد زوال الإمبراطورية العثمانية في نهاية الحرب الأولى، كدولة - أمة.

يعطي الكتاب صورة متكاملة منصفة لتركيا منذ آخر أيام الدولة العثمانية حتى عهد الحكومة الثانية للعدالة والتنمية. ويركز على أساليب الدولة الحارسة وجرائمها التي ظلت غامضة لفترات طويلة حتى تم كشف تورط قيادة القوات المسلحة والمخابرات فيها مع مرور الأيام.

ويحاول فهم الدور الغامض للاتحاد الأوروبي في العمليات التي شكلت تركيا في العقود الثلاثة الأخيرة، ويتناول الكتاب الانقطاعات والتدخلات الكثيرة في التاريخ الحديث للبلاد، التي شكلت فعليا السير الحياتية لكل مواطن تركي.

كما يؤكد على أن هناك في تركيا باستمرار ثنائية على خلفية طابعها النزاع بين الحكومة "المنتخبة من جهة" وبين حرّاس الجمهورية غير المنتخبين، أي العسكر والسلطة القضائية خاصة من ممثلي الدولة العميقة.

وقد اختار المؤلف عام 1989 باعتباره منعطفاً حاسماً على المسرح الإقليمي للشرق الأوسط. وكذلك على الصعيد العالمي، ذلك أنه في ذلك العام، انهار جدار برلين لتبدأ مسيرة تفكك المنظومة الاشتراكية، وصولاً إلى نهاية الاتحاد السوفييتي "السابق". وعودة ظهور عدد من الجمهوريات المستقلة " السوفييتية سابقاً "، في آسيا الوسطى، وغيرها من مناطق الإمبراطورية السابقة.

مع انهيار المعسكر الاشتراكي عادت تركيا بقوّة إلى المسرح الدولي. هذا بعد أن كان يتم النظر إليها غالباً، منذ قيامها بعد الحرب العالمية الثانية، كـ"زائدة غريبة" عن الغرب، واقعة على تخوم أوروبا والشرق الأوسط، حسب التوصيف الذي يقدمه المؤلف. هذا فضلاً عن اعتبارها بلاداً متخلّفة اقتصادياً، ومنطوية على نفسها، وتعاني من العنف السياسي والاضطراب الداخلي، بسبب المسألة الكردية خاصة.

بعد قيام المؤلف بنوع من القراءة "التاريخية" لتركيا الحديثة ومسار تطورها، يدخل في صلب موضوعه لمعالجة مجموعة من المسائل الراهنة التي أخذت أبعاداً كبيرة، بعد منعطف عام 1989. وهكذا يتعرض لمسائل: العلاقة بين الدين والدولة، النزعة الانفصالية الكردية، العلاقات الأوروبية - التركية، تركيا في المحيط الإقليمي للشرق الأوسط.

تتمثل إحدى الأفكار الأساسية التي يؤكّد عليها المؤلف، في القول أنه منذ نهاية الحرب الباردة، أعيدت صياغة النظام الدولي بالتزامن مع قيام العديد من البلدان في نوع من إعادة التفاوض حول سياساتها الخارجية والداخلية أيضاً. وهكذا قامت تركيا بقطيعة كبيرة على العديد من المستويات الاقتصادية السياسية. فعلى الاقتصادي صعدت تركيا من دولة هامشية إلى مصاف القوى الصاعدة، وفي خصوص السياسي الخارجي أصبحت قوة إقليمية لها كلمتها في مجمل قضايا المنطقة.

كما سعت بوضوح إلى أن يكون لها دور في المسائل الدولية. أما على الصعيد الداخلي فتتلخص الفكرة الأساسية للمؤلف في القول أن العقدين الأخيرين المنصرمين، شهدا "زيادة سيطرة الدولة على المجتمع المدني". وتتمثل النتيجة التي يصل إليها في هذا السياق، في الإعراب عن أمنية أن تنتهج تركيا مقاربة أكثر ليبرالية.

ما يؤكده المؤلف أيضاً هو أن الإسلاميين المعتدلين، المنضوين في إطار حزب العدالة والتنمية الحاكم، عرفوا كيف يجرون تحولاً سياسياً، استطاعوا بواسطته البقاء في الحكم عدة دورات انتخابية، وفرض سيطرتهم. هذا مع الإشارة إلى أن هناك ميلاً واضح المعالم باتجاه الأخذ بنوع من النظام الرئاسي وتبنيه تحت عنوان المحافظة على "الديمقراطية السيادية"، على شاكلة المنظومة التي سادت في الأسلوب الروسي الذي تمّ اعتماده منذ وصول فلاديمير بوتين إلى السلطة عام 2000. أما الترجمة العملية لمثل هذا التوجه فيحددها المؤلف بقدر أقل من الحرية بالنسبة للمواطنين الأتراك.

أن تركيا حققت بعد عام 1989، كما يرى المؤلف، نجاحاً اقتصادياً كبيراً ذا طابع ليبرالي جديد. وأصبحت أحد أكثر القوى نفوذاً في منطقة الشرق الأوسط. مع ذلك لم تنجح في الوقت نفسه بإيجاد حلول حاسمة ونهائية للنزاعات الإثنية والعقائدية والتاريخية الموروثة من حقب ماضية. لكن في جميع الحالات يبقى التمسّك قائماً بالإرث الجمهوري "الأتاتوركي" وبالتأكيد، بالانتماء القومي.

في الختام يصف المؤلف تركيا، على أنها بلاد معروفة أكثر بالاستعارات المجازية التي يتم توصيفها بها أكثر مما هي معروفة بسياساتها التي تميل بالأحرى نحو التعقيد وبمجتمعها وبتاريخها. والتأكيد خاصة على أن الصراعات العنيفة على السلطة ساهمت كثيراً حتى الآن بصياغة تركيا حتى اليوم. ذلك مهما كان الخطاب الذي تتبناه السلطة القائمة، ومهما كانت هويتها السياسية.

أما عن الأحداث الأخيرة في تركيا، فيقول أوكتم في مقالاتٍ تعتبر استكمالاً لكتاب اليوم: " في الحقيقة ما يحدث الآن أزمة سياسية تتعلق بسوء استخدام السلطة، والرقابة الإعلامية، ومسار النظام الاقتصادي النيوليبرالي. علاوة على ذلك، أشارت هذه الأزمة بوضوح إلى غطرسة ذاتية عند رئيس الوزراء أردوغان، وتجاهله لأنماط الحياة المختلفة داخل البلاد، وعدم قدرته على مواجهة أي شكل من الانتقاد. أن ما يحدث من احتجاجات هدفها المطالبة بحياة تحمل قيمة حقيقية، وخلق التآزر بين الشعب التركي بكافة خلفياته وتنوعاته السياسية والدينية والعرقية، فضلاً عن إيجاد ضوابط وتوازنات رقابية للسلطة المطلقة ".

ويضيف: " حكومة العدالة والتنمية على الرغم من قصة نجاحها الاقتصادية، إلا أنّها فشلت في إدراك أن المجتمع الذي تعرّض لصدمات عميقة في تاريخه الحديث يحتاج إلى الشفاء من جروح الماضي. ~كانت هناك بعض الخطوات الأولية المشجعة في هذا الشأن، لكن في بضع السنوات الأخيرة، تمتع أردوغان بالكثير من النفوذ، وجاء ليتصرف كما لو أنه كان سلطانا عثمانياً، ناسيا في غمرة ذلك أيضاً أن النفوذ السياسي للسلاطين العثمانيين كان قد تقلص منذ منتصف القرن التاسع عشر. لذلك الغضب متأجج، لكن مع كل شيء، فإن ميدان تقسيم أظهر أن الغضب يمكن أن يتحول إلى تآزر وتعاطف عميقين، عندما تتوقف الشرطة عن التدخل، ويكفّ أردوغان عن إثارة الشعب. في ليلة الإسراء والمعراج أحياها المحتجون في ميدان تقسيم بما يتناسب مع طقسها الديني، على خلاف الأيام الأخرى، فلم يكن هناك مشروبات كحولية، بل كان هناك الكعك التركي المعروف بـ "كانديل سميد"، كما أن مجموعة من "المسلمين المعادين للرأسمالية" صلّوا فيها معاً بشكل جماعي، وإلى جانبهم، كان الكرد والكماليون يحتفلون معاً أيضاً. هذا هو شكل الشفاء من جروح الماضي الذي نسعى إليه، وهو ما تحتاج إليه تركيا حقاً. أن الرئيس عبدالله غول ونائب رئيس الوزراء بولنت أرينج يحاولان معاً التوصل إلى حل مع ممثلي الاحتجاجات. إذا ما اتخذ أردوغان خطوة إلى الوراء، وألقى كلمة سمحة إلى المحتجين، ربما يستعيد شعبيته مع ذلك. وإذا ما عاد إلى لغة التجاهل والاستقطاب، فإنه سوف يفقد دعم حزبه وشعبه معاً.

كريم أكتم:

باحث وبروفيسور تركي بارز في كلية القديس أنطوني وعضو بارز في الدراسات الأوربية الجنوبية الشرقية في جامعة أكسفورد، وكذلك عضو هيئة التدريس في معهد أورينتال في الجامعة نفسها، التي حصل منها على شهادة الدكتوراه. يدرّس المواد المتعلّقة بسياسات ومجتمعات دول الشرق الأوسط وتركيا على وجه الخصوص، وتتراوح اهتماماته البحثية من تاريخ القوميات والسياسات الإثنية إلى جدالات حول التاريخ والذاكرة والإنكار، بالإضافة إلى علاقات تركيا مع أرمينيا واليونان، وأنظمة الحكم الشمولية في الشرق الأوسط. له العديد من الكتب منها: "الأمة الغاضبة: تركيا منذ 1989"، "الاندماج التركي مع الحداثة"، "في الظل الطويل لأوروبا: الأتراك واليونان في فترة ما بعد القومية"، ومؤخرا مع كتاب آخرين "إمبراطورية أخرى: عقد من السياسة الخارجية تحت قيادة حزب العدالة والتنمية"، كما يكتب بشكل مستمر في العديد من الصحف والمواقع والمجلات العالمية المحكّمة.

هوا سمارت

راديو الكل
فنا الشام
العاصمة أون لاين

دمشق. حمص. حماه
103.2
99.6
حلب. ادلب. الرقة

من الساعة
12 ظهراً - 12 مساءً

قراءة في صفحات الذاكرة

لقاء مع معتقل سياسي سابق (2)

■ همام يوسف

كانت لطروحات جودت سعيد ومالك بن نبي ومفكرين آخرين كمحمد عابد الجابري ومحمد شحرور ومعظم المفكرين الذين كانوا يشيرون إلى أن الخلل حقيقة ليس في السلطة السياسية من حيث الجذر، بل بالأفكار والعقل المريضين الذين سينتجا مرة بعد الأخرى جميع الأمراض التي نعاني منه كمجتمعات مسلمة بما فيها الدكتاتورية والفرقة الداخلية والقابلية للاستعمار الداخلي والخارجي، الأثر الكبير على تفكيري الجاد بالانسحاب.

| | هل غادرت الحزب قبل أو بعد الاعتقال؟ كيف، ولماذا؟

| الحقيقة لا أدري أن كان إنهاء علاقتي الدراسية مع الحزب يمكن وصفها على أنها مغادرة، فحقيقة الأمر أن صلتي بالحزب –رغم إيماني وحماستي له ولأفكاره وأهدافه في البداية - لم تتعد المرحلة التي يطلق عليها المرحلة التثقيفية وخلالها لايعتبر الشخص –رجلا أو امرأة بالمناسبة - حزبيا ويطلق عليه تسمية "دارس"، فمن الناحية التنظيمية هذا الشخص مازال غير منتسب رسميا إلى الحزب ويحق له أن ينسحب في أي لحظة يراها هو مناسبة، ولم يسبق أن كان لانسحابات كهذه تداعيات أو إشكاليات على ما أعلم.

أما إنهاء علاقتي مع الحزب فكانت في عام 1991، إذ أبلغت "مدير الحلقة" (الشخص الذي يقوم على تثقيف الدارسين) آنذاك بقراري إنهاء الصلة، طبعا كان هناك اضطراب بسيط من طرفه إلا أنه كان نوعا ما يتوقع هذا الأمر، خاصة وأن نقاشات كثيرة حول أفكار تأسيسية لحزب التحرير كانت تجري بشكل متكرر، وكنت أعبر فيها عن تغير قناعتي تجاهها؛ وأذكر أنه هيأ للقاء مع شخص آخر لم يسبق لي أن التقيته قبل ذلك في محاولة لمناقشة قراري ومحاولة إقناعي بالعدول عنه. هذا اللقاء لم يغير أو يؤثر على عزمي بإنهاء العلاقة، فقد كانت الأفكار التي جدّتْ لدي وكنت أحملها وأومن بها بما يتعلق بالتغيير الاجتماعي والسياسي، لا يمكن لها أن تتوافق أو تتعايش مع أفكار صميمية وتأسيسية يعيشها الحزب بشكل عملاني.

بعد أن شرحت لممثلي الحزب موقفي وأفكاري الجديدة التي أومن بها شعرا بجدية وصدق خطابي لهما، واستطعت أن أبين لهما حقيقة امتناني واعترافي بالفضل لحزب التحرير في توسيع أفق تفكيري وتزويدي بمفاهيمه وإضاءة زوايا من العمل والحراك الاجتماعي السياسي لم يكن لي أن أصل إليها بمفردي، إلا أن هذا لا يعني استمرار صلتي بهم فالأمر بالنسبة لي هو مفترق طريق. عندها قال لي: حسنا.. يبدو أن قرارك نهائي، على كل حال.. أدعُ اللّه لنا بالتوفيق؟ فأجبته: من طرفي سأدعو لكم.. لكن ظني أن اللّه لن يوفقكم. وصافحتهما مودعا. كان هذا قبل اعتقالي بحوالي تسع سنوات على ذمة تلك الصلة القديمة!!

نأتي الآن للإجابة عن لماذا؛ بشكل أساسي ودون الخوض في التفاصيل، كان الشيئين أو المفهومين الأساسيين الذين تغيرت قناعتي تجاههما ومن ثم بناءا عليه قراري بالانسحاب هما "العمل السري" وما يطلق عليه "طلب النصرة"، وقد كان لاحتكاكي ومتابعتي للمفكر جودت سعيد وطروحاته الأثر الأساسي في تغيير هذه القناعات، بالإضافة إلى إدراكي لحقيقة أن تغيير الواقع الذي نعمل على إصلاحه وتحسينه لا يأتي بتغيير شكل السلطة أو بالإتيان إلى رأس الهرم وتغييره على أمل أن تعكس القاعدة هذا التغير بشكل أوتوماتيكي، وكان لطروحات جودت سعيد ومالك بن نبي ومفكرين آخرين كمحمد عابد الجابري ومحمد شحرور ومعظم المفكرين الذين كانوا يشيرون إلى أن الخلل حقيقة ليس في السلطة السياسية من حيث الجذر، بل بالأفكار والعقل المريضين الذين سينتجا مرة بعد الأخرى جميع الأمراض التي نعاني منه كمجتمعات مسلمة، بما فيها الدكتاتورية والفرقة الداخلية والقابلية للاستعمار الداخلي والخارجي الأثر الكبير على تفكيري الجاد بالانسحاب. ووصلت إلى النتيجة التي تقول أن الخلل هو في العقل وبنية العقل لدى الأمة، أما السلطة السياسية فما هي إلا انعكاس لما تحمله الأمة وثقافتها من أفكار ومن ثم تعكسها طبيعة هذه السلطة مجددا على الأمة، ورغم أن الجدل (الديالكتيك) موجود ما بين قطبي الأمة والسلطة، إلا أن التغيير الجوهري يجب أن يحدث في الأمة.

والحال كذلك فإن "طلب النصرة" الذي يمكن أن أشرحه ببساطة بأنه طلب دعم مراكز القوة في الهيكل السياسي للمجتمع الذي ينشط به الحزب، وهو بناءا على قناعة الحزب يكمن في القوة العسكرية للجيش وجنرالاته في معظم البلدان التي يتواجد بها الحزب؛ وهذا يعني ببساطة أن الحزب يهدف وينشط عمليا –رغم أن الحزب يولي أهمية لعملية تثقيف الأمة - في طلب السلطة عن طريق الانقلابات العسكرية، أي احتمال العنف الداخلي موجود بشكل كبير ومتوقع، وهذا كان مرفوضا بالنسبة لي، لأنه في النهاية يعيد تكرار مأساة فرض أنماط الأفكار والحياة على المجتمع بقوة السلاح والعسكر لا بقوة الأفكار والمبادىء وهذا سبيله إلى الزوال. وكل ما سبق يترافق مع "العمل السري" بشكل لازم، الأمر الذي تعيه السلطة الحاكمة بشكل متيقظ دائم التحفز، لا بل وتستخدمه للصيد في المياه العكرة ففي الظلام يسهل اتهام أي ناشط بجرائم ضد الدولة والمجتمع دون أن يكون له القدرة أو السند الاجتماعي الذي يعينه على ضحد ما يمكن أن ينسب إليه، ويحرمه من احتواء المجتمع له ولنشاطه بما يضمن استمرار تأثره به، إضافة أنه قد سبق لمحاولات إنقلابية قام بها الحزب أن باءت بالفشل باعترافه، وهذا كان طريقا مسدودا بل جدارا أصر الحزب على أن يحطم نفسه عليه مرة تلو المرة دون جدوى!

وأذكر من مقابلتي الأخيرة لعضو حزب التحرير، عندما سألني أن كان هناك أمر يمكن أن يقوم به الحزب ويجعلني أعدل عن قراري بالانسحاب؟ أنني أجبته: نعم.. هناك، أن أعلن حزب التحرير في جميع الوسائل الإعلامية الممكنة أنه تخلى عن طلب السلطة وأنه سيخرج من العمل السري إلى العلنية فسأعود عن قراري!

مقتل حزب التحرير هو في طلب السلطة عن طريق الانقلابات العسكرية أي العنف، وفي العمل السري. وأنا لم أكن مستعدا للاستمرار بالسير في طريق نهايته الفشل حتى أن واتته رياح ما ونجح!

الدولاب تسمية معروفة لكل السوريين بفضل الثقافة الإرهابية الرسمية، وكانت له رهبة وغموض أسود خاص به، ورغم معرفتي ويقيني التاميين أن المحقق يعرف تماما من يسأل عنهما ورغم يقيني أنني بإمكاني تجنب "الدولاب" فقط بإقراري بمعرفتهما قبل أن أغادر الغرفة! إلا أنني كنت أريد لقاء هذا الغول الغامض ومجابهته وجها لوجه، وهكذا لذت بالصمت منتظرا هذا الدولاب البغيض.

| | حدثنا عن فترة اعتقالك، مع المجموعة التي اعتقلت معها، عددالمعتقلين، ظروف التحقيق، مكانه ومكان السجن، ظروف السجن، مدى احتكاكك بسجناء من خلفيات أخرى، علاقتك بأعضاء الحزب المعتقلين أثناء السجن، المحاكمة أن وجدت؟

| اعتقلت بتاريخ 29 / 12 / 1999 حوالي العاشرة ليلا فيما يشبه الاختطاف الذي نعرفه من القصص والأفلام. يومها كانت مكالمة غريبة من والدتي قد أثارت لدي توجسا عميقا، فقد أخبرتني أن هناك من يدّعون أنهم أصدقائي من أيام خدمة العلم (!!) يريدون رؤيتي وأنهم يحملون رسالة لي، وعندما سألت ما أسماؤهم وما أعمارهم تعجبت أكثر مما وصفت، ولما قلت لها أن تستلم الرسالة بدلا عني أخبروها أنني يجب أن أستلمها بيدي، هنا طلبت منها أن تحصل على رقم هاتف منهم علني أتصل بهم فيما بعد.. وبعد قليل تلقيت اتصالا من أحدهم يقول لي أنه أبو ثائر (؟؟) وأنه يجب أن يسلمني الرسالة.. وألح في معرفة عنوان منزلي بدقة إلا أنني استطعت إقناعه بأنني سألتقيه في مكان يسهل على كلينا الوصول إليه.

كل ماكان يجري كان يؤكد لي أن هناك أمرا مريبا وأن احتمال وشاية أو تقرير إلى الأجهزة القمعية (ولا أقول الأمنية) قد يكون وراء مسرحية بوليسية كهذه، وقد تأكدت من ذلك عندما استطعت الوصول إلى مكان اللقاء بحيث أرى من ينتظرني ولا يراني، وأبصرت الباص الصغير المحمل بالعناصر المسلحة وكذلك سيارة الضابط التي كان محركها يدور رغم أنوارها المطفأة، في هذه الأثناء وصل أخي إلى مكان يستطيع منه مراقبة مايحدث دون أن يتدخل كما طلبت منه عبر الهاتف قبل أن أغادر المنزل لأنني لم أكن مطمئنا لما قد يحدث في خضم كل هذا الغموض. ترددت قليلا وتباطأت خطواتي وكان بإمكاني التراجع والتواري في الظلام إلا أن الذي كان يحيرني هو التساؤل عما قد يكون السبب في هذا، ولإيماني الكبير أنه لا مبرر للقلق ويقيني أنني كنت أقول في العلن ما أضمره في نفسي قررت المتابعة ومواجهة الأمر كائنا ماكان بدلا من الهرب الذي يثبت علي أية تهمة وإن كانت كاذبة.

وما أن وصلت إلى الرجل الذي ينتظرني (علمت فيما بعد أنه عقيد في المخابرات الجوية اسمه الأول مطانيوس) ومددت يدي مصافحا ومعرفا بنفسي حتى تشبث بذراعي بشدة وأحاط بي العساكر تحسبا أن ألوذ بالفرار (؟!)

أخبرهم الضابط إلا يزعجونني - لأنني على مايبدو محترم، على حد تعبيره (!!) - وفعلا لم أتعرض لأي إزعاج!!، إلا أن هذا لم يغير من إجراءات تكبيل يدي خلف ظهري ووضع عصبة على عيني بالإضافة إلى إلزامي بخفض رأسي ليلامس ظهر الكرسي الأمامي.

وبعد أن أكد الضابط لأخي - الذي كانوا قد أمسكوا به - أنني مطلوب للسؤال فقط ولن يطول الوقت حتى أعود، انطلق الباص الصغير (ندعوه سرفيس في سورية) في ظلمات تلك الليلة يقودني في رحلته نحو المجهول وقد تجاوزت الساعة الحادية عشرة ليلا ودماغي يكاد يتمزق لتسارع الأفكار وتزاحمها في محاولة أكتشاف ماذا؟ ومن؟ ولماذا؟! وإلى أين؟

يمر الوقت بتسارعات مختلفة بل ومتناقضة

رسالة سجين | عمل للفنان وسام الجزائري

احيانـا، إذ يطيـر الوقت بسـرعة البرق بعد السـاعة الثامنة أو التاسـعة مسـاءً وهكذا إلى بـزوغ الصباح. ثم يتباطأ بشـدة مميتة منـذ الاسـتيقاظ حوالي السـابعة والنصف صباحا - موعد بدأ الدوام الرسمي وممارسة الضبـاط والعسـاكر مهامهـم الرسـمية الوظيفيـة بجلد المواطنيـن المعتقلين أو تعذيبهم والتحقيق معهم - إلى أن ينتصف النهار ويهل وقت الغداء في الثانية عشـرة والنصف أو الواحدة؛ خلال هذه الفترة تكون أعصاب المعتقلين فـي الزنازين من التوتر والتحفز والهلع بحيث يمكن أن تتقصف كما لو أنها أغصان شجرة جافة.

أما كيف جرت الأمور بعدها فهي مشابهة كثيرا لما كتب في هذا الشأن من قبل معتقلين سياسيين سابقين، شـتائم وإهانات صفعـات وخلافه، وهـذا حصل بعد أن اجتزت مرحلة الديوان حيث سجلت كافة المعلومات عني وتم التقاط صور لي كما الأفلام الأمريكية وتم تجريدي من كل شيء ما عدا ملابسي وحذائي الذي نزعت سيوره تلبية لطلبهم. وبعد أن تم تفتيشـي مرة ثانية، وضعت في زنزانـة "إفرادية" تبلغ أبعادها (180X220سـم) مع أربعة أشخاص آخرين كنت أتقاسم معهم طعام الإفطار والسـحور (كنا في الأيـام الأخيرة من رمضـان) وعلمت منهم فيما بعد أنهم كانوا عناصر أمن تابعين للمخابرات الجوية موقوفين لمخالفات مسـلكية بسـيطة، هذا في اليـوم الأول من اعتقالي.. إذ بقيت أنتظر يومين أو أكثر قبل بداية التحقيق معي، وطيلة اليومين أو الثلاثة كنت مازلت لا أعلم سـبب اعتقالي، قد أخبروني أثناءها أنني موجود في فرع التحقيق التابع للمخابرات الجوية. وفيما عدا الاستقبال الذي قام به السجانون عندما دخلت مبنى السـجن (الذي كان فوق الأرض) فإنني لم أتعرض لأية إساءات أخرى، ويبدو أن توجيها بعدم الإزعاج أو الاعتداء البدني على الموقوفين قد عمم عليهم.

في صبـاح أحد الأيام تـم اسـتدعائي للتحقيق، إذ تـم فتح المزلاج المعدني في باب الزنزانة مصدرا صوتا كريهـا، ووقف السـجان مخاطبا إياي طالبـا مني التوجه إلى التحقيق: هيا بسـرعة إلـى التحقيق.. إنزع حذاءك.. لا تبق شـيء على جسدك ماعدا البنطال! وهكذا خرجت عاري النصف الأعلى من جسـدي (علمت من المعتقلين الآخريـن أنني كنت محظوظا.. ففـي الفترة الأولى كان التحقيـق يتم والسـجين عـار إلا من السـروال الداخلي فقـط) في ثاني أيـام كانـون الثاني البـارد أخطو على الأرض الرطبة بجاربي الذين لـم يخطر ببالي نزعهما، وأنا أحاول تلمس مواقع قدمي بجهد وحذر لأن السـجان كان قـد عصب عيني ووضع قيدا أحاديا في كلا معصمي الذين أمرت أن أضعهما وراء ظهري، ومن ثم كان يمسك بعضدي مرشدا لي في أي اتجاه أسير وأية درجات أهبط أو أصعد.

وأتـت اللحظة التي كنـت أنتظرها.. السـؤال الذي طرق أذناي مبددا كل حيرتي وتخبطي في معرفة سبب اعتقالـي، فبعـد أن قدمـت نفسـي بالطريقـة التي تم تعليمي إياها "الموقوف همام يوسف سيّدي المحقق".. سـألني الضابط (عرفت أنه كان برتبـة عقيد فيما بعد، وأن اسمه "عامر العشي"): ما علاقتك بحزب التحرير؟

وتنفسـت الصعداء.. وحدثت نفسي.. "إذن هذا هو السبب.. يا لهذه المشكلة التافهة.. هذا أمر قديم ولاشك أنهم عندما يعرفون أنني منقطع عن الحزب منذ حوالي السنوات العشر، سيدركون تفاهة المسألة". أجبت: ليس لـي علاقة معهـم الآن.. كان لي علاقـة قديمة وانتهت. وتابع أسـئلته مستفسرا عمن كان معي في الحلقة؟ وما كان اسم مدير الحلقة؟ وكيف ومتى كنا نجتمع؟ ماذا كنا نقـرأ؟ وعن المبلـغ المالي الذي كنت أسـهم به للحزب.. الخ، أسـئلة تنـم عن معرفة شـاملة ومفصلـة بدقائق الأمـور، مما أكد لي احتمال صحة ظني أن أحدا من أفراد حلقتـي القديمة قد تم القبض عليه لسـبب أو لآخر، إلا أن هـذا لم يزعجنـي كثيرا لأن جميع الذيـن كانوا معي فـي الحلقة كانوا قـد أنهو علاقتهم بالحـزب في الوقت ذاتـه وللأسـباب ذاتها. كنـت أجيب على أسـئلة المحقق بالقدر الذي يكفيه ولا يورطني في أسـئلة أخرى بشكل مقنع، فطوال الوقت كنـت هادئا متوازنا و"متجاوبا" فما كان منه إلا أن قـال لي: إذهب واكتب تقريرا بالذي قلته لي الآن.

وبعـد أن كتبت التقرير الذي يبـدأ بالعبارة: "تقرير الموقـوف فـلان الفلانـي.. سـيّدي المحقـق.. " والذي لم يتجـاوز نصـف الصفحة (الأمـر الذي أثار اسـتغراب واستهجان السجان الذي حذرني من إغفال أي شيء!) تم إيصاله إلى المحقق وتمـت إعادتي إلى الزنزانة لأنتظر هنـاك يومين آخريـن قبل اسـتدعائي للتحقيـق للمرة الثانية عصر أحد الأيام.

وفـي هـذه المرة خلعـت جواربي لأنني لـم أرد أن تتسـخ بميـاه الأمطـار المختلطـة بالأتربة والأوسـاخ.. قادنـي السـجان إلـى غرفـة تحقيـق مختلفة بحسـب تقديـري (لأنني كنت معصـوب العينين كالعـادة،) وفي هـذه المـرة كان الأمر سـريعا فبعـد أن قدمت نفسـي "الموقوف همّام يوسـف سيّدي المحقق (كم كنت أكره كلمة "سـيّدي" وكنت أبذل جهدا لقولها) سألني المحقق بشكل مباشر ومباغت من هما فلان وفلان؟!!

لحظتهـا شـعرت أن جبلا قد انهار فوق رأسـي وأن نارا قد اشـتعلت في صدري وجففت الدماء في عروقي، وأدركت أن الأمر أكبر وأكثر اتساعا مما ظننت سابقا، وأن الأمر سوف يسـتمر بالاتساع وسوف يصل إلى أشخاص ليس من المهم أو الأساسـي بالنسبة للجهات الأمنية أن تعرفهم، وهم لن يقدموا أو يؤخروا في شيء بالإضافة إلـى حقيقة أنهم أيضا كانوا قـد أنهوا علاقتهم بالحزب بشـكل مؤكد، وهم يعيشون حيواتهم بهدوء وسلام مع زوجاتهم وأبنائهم! كيف وصلت أسماؤهم إلى المحقق؟!

من هـو الذي تبرع بهذه الأسـماء علما أنـه من الممكن عدم ذكرها؟!! كيف سألتف حول الموضوع دون تعريض آخرين لهذا الذل وهذه الأساليب المتخلفة القميئة؟!!

كل هذا احتشد بتسارع تجاوز الزمن مخلفا احتقانا عالـي الضغط فـي دماغي الذي غاب لفتـرة لا تزيد عن الثانيتيـن!! وهنـا قـررت أن أجيـب بتسـاؤل علـي أتيح لنفسـي التفكير لثـوان أخرى: من فلان وفلان سـيدي؟ (وكان قد ذكر فقط اسميهما فقط دون لقبي عائليتهما.) هنا انقلب عالمي رأسا على عقب، إذ ما أن سمع كلماتي حتى قام باسـتدعاء السجان بصوت الجرس الكريه وهو يقول: "ما بتعرف مين هنّن لكن.. هلأ منشـوف شـلون رح خليك تعرف.. خدو عالدولاب".

الدولاب تسـمية معروفـة لكل السـوريين بفضل الثقافة الإرهابية الرسـمية، وكانت لـه رهبة وغموض أسـود خاص بـه، ورغم معرفتـي ويقينـي التاميين أن المحقق يعرف تماما من يسأل عنهما (وإلا كيف ذكرهما بهـذا التحديـد وسـألني أنـا عنهمـا، فهو لـم يقل: هل تعـرف..؟ بـل قال: مـن همـا..؟ أي أنـه كان يختبر مدى طواعيتـي، وربما كان يريد زيادة تأكيد معلوماته - وهو مـا تبين لي صحتـه فيما بعد - ويريد منـي إقرار صحة مـا لديه،) ورغـم يقيني أنني بإمكانـي تجنب "الدولاب" فقـط بإقراري بمعرفتهما قبل أن أغادر الغرفة! إلا أنني كنت أريد لقاء هذا الغول الغامض ومجابهته وجها لوجه، وهكذا لذت بالصمت منتظرا هذا الدولاب البعبع.

لم يكـن لقاءا جيـدا.. فبعد أن جرني السـجان من عنقـي خارجا، وقادنـي إلى زاوية ما لا أعـرف مكانها أو جهتهـا، أمرني متلفظا بأشـنع الألفـاظ - التي تجود بها ألسـنة أقذر مخيلة بشـرية يمكن تخيلها - بالاسـتلقاء علـى بطني وثني ركبتيّ رافعـا قدماي إلى أعلى بحيث يصبح باطنيهما متجها إلى أعلى، مما سهل عليه الانهيار (كانهيار الجبال) عليهما بعدد فقدت القدرة على إحصائه من الصواعق الخيزرانية التي كان أصوات حفيفها وهي تشـق الهـواء تختلـط بأصواتهـا وهي تصطـدم بلحم قدميـي (العاريتيـن المبللتيـن بمياه الوحـول) وتمتزج بصراخي وجعيري (لم أكن أتخيل أن الإنسـان يمكن أي يصدر أصواتـا كوحوش الغابات قبل ذلك،) ويتخلل ذلك كله أشـنع الشـتائم النابية التي لا يمكن لإنسـان له أم أو إخوة أو أخوات أن يرضى بسـماعها عن شـخص آخر، فكيف عن نفسه؟!!

لـم يكن دولابا كما تخيلتـه.. إلا أنني بعد أن فقدت القـدرة على إحصـاء العدد، قررت الاستسـلام فأخبرته باكيـا (وهذا أمـر يصعب الاعتراف به عادة) لشـدة الألم أنني أعرف الشخصين الذين سألت عنهما. فنهرني آمرا بالوقوف فلم أسـتطع وضع قدماي على الأرض بالكامل لشـدة الألم، فسرت متباطئا أمشـي على جانبي قدميّ كالكسـيح عائدا إلـى الزنزانة، فعلى مايبـدو أن المهمة قـد أنجزت.. ولم يكـن مهما أن يسـمع الضابط تأكيدي بمعرفتهما في تلك اللحظة!

في المعتقل

■ لبابة الهواري

لم أكن أشعر أن عقارب الساعة تتحرك وأنا انتظر عودتها.. قبل ربع ساعة طلبها الضابط لجولة تحقيق في منتصف الليل!

كنا نعرف السناريو جيداً.. ونحفظه جميعاً!

استجمع بعض عبارات المواساة وتخفيف الألم التي نتبادلها في تلك المواقف.. حتى لا أنساها كعادتي لهول الموقف..

جلست القرفصاء، ذراعيَ تشدُّ على بطني وأهز رأسي بتوتر وأنا أردد الفرج قريب الفرج قريب..

أرقب بعض الجرذان وهي تعبث بالبطانية الملقاة على الأرض، لشدة توتري وخوفي وشعوري بتشنج أعضائي أعجز حتى عن إصدار صوت يخيفها فترحل

أسندت ظهري للجدار بصمت مرة أخرى.. دمعة صادقة مع مناجاة.. يااارب..

شيء من قلبي كان يخرج معها.. شيء من روحي كان يخرج خارج أسوار الزنزانة.. تلحق في السماء.. أتذكر وجه أمي عندما أخذوني أمامها.. دمعها.. توسلاتها رجاءها لهم أن يتركوني وهم يقولون: فقط أيام.. وستعود!! ابتسمت لها لأشعرها أن الأمر عادي جداً "سأكون بخير" وأمضي معهم.. كم هو الخير الذي تحمله لنا القضبان خلفها! لعلها لم تحمل لنا الخير.. لكنها حوت الكثير من الخيرين ممن نتقاسم معهم الجوع والوجع.. وعتمة الليل.. أنات السياط.. وجولات التحقيق.. وتفاصيل صغيرة لا يدركها إلا من سكن هنا..

دموعي على وشك الانهيار ورغبة جامحة باختضان أمي الآن..

أتذكر بعض وسائل التخفيف من التوتر.. أحاول أخذ نفس عميق.. تتسرب لرئتي رائحة العفن العالق في الزنزانة.. أحاول جاهدة أن أخرج زفيراً متمهلاً على مراحل.. يخرج الهواء.. ويعلق العفن بالذاكرة..

لا أدري كم مرَّ من الوقت وأنا على هذه الحال.. دقائق.. ثواني.. ساعات.. لم أكن أشعر بشيء.. كان دهراً من الانتظار..

أردد بصوت أعلى يااااارب.. يااارب.. يختنق صوتي وأنا أسمع وقع أقدام يقترب، وقفت بسرعة بجانب باب الزنزانة انتظر

فتحَ الباب ورمى بها للداخل مع سيل من الألفاظ النتنة مثل رائحته.. ثم أغلق الباب ومضى

اقتربت منها على عجل، كان جسدها يفضح ما حدث معها آثار الدماء على وجهها.. وانتفاخ في رقبتها.. ثوبها الممزق وذراعها المتورمة.. لم أكن بحاجة لأسألها كم عانت.. احتفظت بالسؤال لنفسي، ساعدتها على النهوض وأسندتها إلى الحائط، جلست بجانبها، كان الذهول مسيطر عليها، ملامحها جامدة لا تتحرك.. لم تكن تبكي.. ولا تتحدث.. كان صمتها أقوى وقعاً من عتمة الليل في زنزانة لا ترحم..

استجمعت قوتي لأبدأ عبارات المواساة، أسندتْ رأسها على كتفي وهمستْ: أريد أمي..

.. شعرت بدموعها وهي تبلل ملابسي، كنت أمسح على رأسها ونتقاسم الدمع، كان القمر يرقبنا من بعيد، لكن السماء شاركتنا البكاء!

كانت ليلة!

المرسوم التشريعي رقم "51" لعام 2013 القاضي بإحداث صندوق الزكاة والصدقات في وزارة الأوقاف

■ ياسر مرزوق

عام 2013 يصدر رأس نظام البعث العلماني مرسوماً للحث على فريضة الزكاة، ومن عاش فترة الثمانينات في سوريا عايش الاعتقالات التي كانت تمارسها السلطات على أي جامع للزكاة بدون ترخيص من وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل علماً أن الوزارة المذكورة امتنعت ولفترة طويلة وبقرار أمني عن إعطاء أي رخص لجمعيات خيرية.

وفي خضم المعارك التي تجتاح سوريا يبدو غريباً مثل هذا المرسوم والذي نص على أن الهدف من إنشاء صندوق الزكاة هو:

1 - تعظيم فريضة الزكاة وإحيائها من خلال تقديم الخدمة المثلى للمزكين والتوزيع العادل لأموال الزكاة على المستحقين. 2 - تذكير المسلمين بحكمة فريضة الزكاة ومشروعيتها وحثهم على وجوب أدائها وتعريفهم بمقاصدها.

3 - مساعدة الأسر ذات الحاجة وتقديم العون المادي أو العيني لهم وفق مقتضيات الحالة الاجتماعية ووضع الزكاة في مصارفها الصحيحة.

4 - مساعدة الفقراء من طلاب العلم والأيتام والعجزة وذوي الاحتياجات الخاصة والمرضى والمؤسسات التي ترعاهم من جمعيات خيرية وغيرها.

5 - المساهمة في تأمين الرعاية الصحية للفقراء والمحتاجين وإيجاد فرص العمل للمحتاجين.

6 - المساهمة في مشاريع تنموية ذات نفع عام وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

7 - الوصول إلى مجتمع متكافل اجتماعيا ومتلاحم إنسانيا ينشط في مجال تنمية العمل الخيري وخدمة المحتاجين والمعوزين وفق أسس الشريعة الإسلامية.

من خلال هذه العبارات الغامضة والفضفاضة يستمر النظام في ممالأة رجال الدين التابعين له، وتعود بنا الذاكرة إلى الصناديق التي أنشأها النظام السوري خلال حكمه لبنان مكافأة لزعيم سياسي أو جهة من مناصريه.

ولعل الأغرب في هذا المرسوم عدم الإشارة إلى أي جهة رقابية تنظم العمليات المالية، وعدم الإشارة إلى آلية جمع الزكاة والهبات وهل سيتم حصرها في الصندوق المذكور كوسيلة للضغط وتجفيف منابع الدعم الذاتي للسوريين، وفيما يلي نص القانون

المادة (4)

يمول الصندوق من المصادر الآتية..

1 - أموال الزكاة التي يؤديها المسلمون إليه.

2 - الصدقات المادية التي يقدمها المسلمون.

3 - المنح والوصايا والهبات والتبرعات والنذور التي يقبلها مجلس الإدارة.

4 - ريع الأموال التي يستثمرها الصندوق.

5 - الوفر المدور من موازنة السنة المالية السابقة.

6 - أية موارد أخرى تسمح بها القوانين والأنظمة النافذة.

المادة(5)

أ - تودع أموال الصندوق من غير الزكاة في حساب خاص لدى أحد المصارف الإسلامية السورية التي يحددها مجلس الإدارة.

ب - يخصص حساب مستقل لأموال الزكاة ولا يجوز أن يتم الصرف منها إلا في المصارف الشرعية للزكاة وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

المادة(6)

يتولى إدارة الصندوق..

1 - مجلس الإدارة.

2 - المدير العام.

المادة(7)

أ - يتألف مجلس إدارة الصندوق على النحو الآتي..

الوزير.. رئيساً

أحد أعضاء اتحاد علماء بلاد الشام من سورية.. عضواً ونائباً للرئيس

أحد معاوني الوزير.. عضواً

معاون وزير الشؤون الاجتماعية يقترحه وزير الشؤون الاجتماعية.. عضواً

خمسة من كبار العلماء في سورية.. أعضاء

اثنان من مفتي المحافظات.. أعضاء

ممثل عن اتحاد غرف التجارة يقترحه رئيس الاتحاد.. عضواً

ممثل عن اتحاد غرف الصناعة يقترحه رئيس الاتحاد.. عضواً

المدير العام.. عضواً

أحد العاملين في الوزارة من مرتبة مدير على الأقل.. مقرراً

ب - يسمى أعضاء مجلس الإدارة بقرار من رئيس مجلس الوزراء بناء على اقتراح الوزير.

المادة (8)

أ - يجتمع مجلس الإدارة مرة كل ثلاثة أشهر على الأقل وكلما دعت الحاجة لذلك بدعوة من رئيسه وتكون الاجتماعات قانونية بحضور أكثرية الأعضاء بمن فيهم الرئيس أو نائبه بتكليف منه وتتخذ القرارات بالتصويت بإجماع أو بأغلبية الأعضاء الحاضرين وفي حال تساوي الأصوات يرجح جانب رئيس الجلسة.

ب - لرئيس مجلس الإدارة أن يدعو من يراه مناسبا لحضور اجتماعاته أو لعرض ما يراه المجلس ضروريا من بيانات أو إيضاحات على أن يثبت ذلك في جدول أعمال المجلس ودون أن يكون للمدعو الحق في التصويت.

ج - لمجلس الإدارة تشكيل لجان من بين أعضائه وغيرهم لدراسة موضوع معين وتقديم الاقتراحات اللازمة أو لمساعدة المجلس على أداء مهامه.

المادة (9)

مجلس الإدارة هو السلطة المختصة برسم السياسة العامة للصندوق والخطط التي يسير عليها والتي تحقق أهدافه وجودة الخدمات المقدمة ويعد مسؤولا عن إقرارها ومتابعة حسن تنفيذها ويمارس جميع الأعمال التي تؤدي إلى تحقيق الهدف من إحداثه ويتولى على وجه خاص.. اقتراح جميع الأنظمة التي تقتضيها أعمال الصندوق وتصدر هذه الأنظمة بقرار من الوزير.. وضع الأسس والضوابط الكفيلة بتوزيع أموال الزكاة والصدقات في وجوهها المقررة شرعا وتحديد أولوياتها وتحديد أوجه صرفها وفق الأسس الشرعية.. تشكيل هيئة رقابة شرعية على أعمال الصندوق من أعضاء مجلس الإدارة وغيرهم وتحديد الأسس الكفيلة بأداء أعمالها.

- تشكيل لجان لجمع الزكاة وتحديد أسس عملها وتعويضات القائمين عليها.

- اقتراح إحداث فروع للصندوق في مديريات الأوقاف في المحافظات وإقرار أنظمتها وتحدث بقرار من الوزير.

- اقتراح الموازنة السنوية للصندوق.

- قبول الهبات والوصايا والتبرعات والإعانات المقدمة للصندوق.

- وضع الآليات اللازمة لتنمية موارد الصندوق واستثمار أمواله.

- تصديق الميزانية الختامية السنوية للصندوق.

- تعيين مدقق حسابات قانوني لمراجعة حسابات الصندوق وتحديد أتعابه.

- مناقشة التقرير السنوي المقدم من المدير العام.

- الموافقة على إشغال بعض الوظائف اللازمة لعمل الصندوق عن طريق التعاقد وتصدق العقود من الوزير.

- التفويض ببعض صلاحيات مجلس الإدارة إلى الوزير.

المادة (10)

أ - يعين المدير العام بقرار يصدر عن رئيس مجلس الوزراء بناء على اقتراح الوزير من حملة الإجازة الجامعية في الشريعة الإسلامية على الأقل.

ب - في حال تسمية المدير العام من غير العاملين في الدولة يتقاضى المكلف الأجر الذي يحدده مجلس الإدارة ويصرف من موازنة الصندوق.

المادة (11)

يتولى المدير العام الإشراف على جميع أعمال الصندوق من النواحي الإدارية والمالية ويصدر التعليمات والأوامر الإدارية ويتابع تنفيذ قرارات مجلس الإدارة ويشرف بصورة مباشرة على سير العمل فيه بما لا يتعارض مع أحكام هذا المرسوم التشريعي ويتولى على الأخص المهام الآتية..

1 - تمثيل الصندوق في علاقاته مع الغير.

2 - تنفيذ السياسة العامة للصندوق التي يقرها مجلس الإدارة لتحقيق مهام الصندوق.

3 - تنفيذ خطة عمل الصندوق.

4 - إعداد مشروع الموازنة السنوية والحسابات الختامية للصندوق.

5 - تقديم التقرير السنوي إلى مجلس الإدارة متضمنا الوضع المالي والإداري للصندوق.

6 - يوزع الأعمال الوظيفية على المكلفين بالعمل في الصندوق.

7 - الإشراف على لجان جمع الزكاة.

8 - أية مهام أخرى يكلفه بها الوزير أو مجلس الإدارة.

المادة (12)

المدير العام هو آمر الصرف للصندوق.

المادة (13)

أ - لمجلس الإدارة أن يستثمر جزءا من الأموال الفائضة في الصندوق من غير أموال الزكاة ضمن الضوابط والحدود التي يقررها.

ب - لمجلس الإدارة أن يقرر صرف مكافآت وتعويضات للعاملين في الصندوق من غير أموال الزكاة وتستثنى هذه المكافآت والتعويضات من الحدود القصوى المقررة في القوانين والأنظمة النافذة.

المادة (14)

أ - يعفى الصندوق والمستفيدون من المنح أو الإعانات التي يقدمها من جميع الضرائب والرسوم تحت أي تسمية كانت.

ب - يعفى الصندوق من الضرائب والرسوم التي ترد على أي عقود أو عمليات يجريها بما فيها رسم الطابع كما يعفى من جميع الرسوم الجمركية والبلدية والتكاليف العامة على اختلاف أنواعها عما يرد إليه من منح أو إعانات أو هبات أو قروض ويعفى من تقديم الكفالات والرسوم والتأمينات القضائية.

المادة (15)

لدافع الزكاة أو المتصدق أو المتبرع تحديد أوجه صرف المبالغ التي دفعها للصندوق شريطة عدم تعارض ذلك مع أحكام الشريعة الإسلامية.

المادة (16)

تعتبر أموال الصندوق من أموال الدولة العامة في معرض تطبيق قانون العقوبات الاقتصادي.

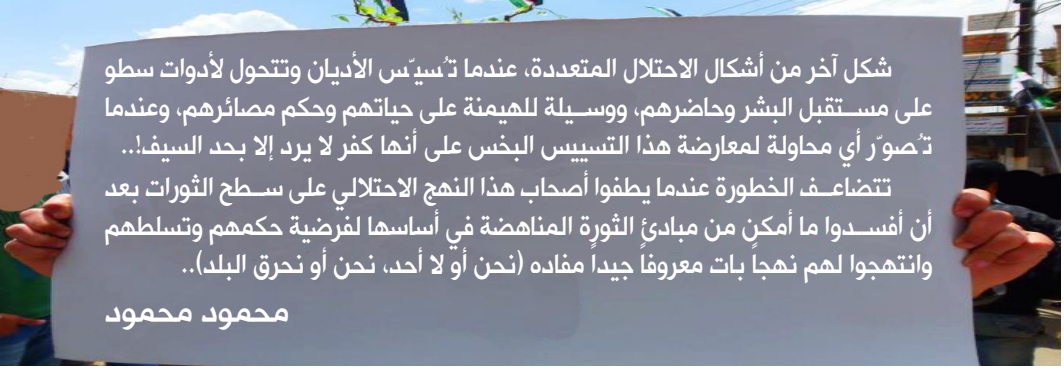

شكل آخر من أشكال الاحتلال المتعددة، عندما تُسيّس الأديان وتتحول لأدوات سطو على مستقبل البشر وحاضرهم، ووسيلة للهيمنة على حياتهم وحكم مصائرهم، وعندما تُصوّر أي محاولة لمعارضة هذا التسييس البخس على أنها كفر لا يرد إلا بحد السيف!..

تتضاعف الخطورة عندما يطفوا أصحاب هذا النهج الاحتلالي على سطح الثورات بعد أن أفسدوا ما أمكن من مبادئ الثورة المناهضة في أساسها لفرضية حكمهم وتسلطهم وانتهجوا لهم نهجاً بات معروفاً جيداً مفاده (نحن أو لا أحد، نحن أو نحرق البلد)..

محمود محمود

محمد عطار

استيقظنا اليوم على ارتجاج البيت، الطائرة تقصف بستان القصر، سقط الصاروخ على بعد عشرات الأمتار. لا يمكن لحي أن يكون "سكنيا" أكثر من هذا الحي!! الطابقين الأخيرين في بناء قديم سُحقا تماماً بقاطنيهما، وتهشمت الأبنية المحيطة، مشاهد استخراج الأطفال الشهداء مفجع، وما يدمي القلب أن أحد شباب النقطة الطبية الرائعين والذين أكرموا استضافتنا البارحة قضى بالقصف أيضا، شاب في ربيعه ال22. بعد دقائق والغبار مازال يلف المكان، يستعيد سوق بستان القصر تقريبا حركته الطبيعية فيما على بعد أمتار فقط، هناك رجال ونساء ينتحبون.. جالساً مع شباب متشحين بغبار الركام، على رصيف متسخ قرب بسطة لبيع البصل، ينادي صاحبها بلا كلل على المارة ليشتروا منه، أفكر كم هو فعل قاس التعود على الموت والإصرار على مواصلة الحياة!!! وأدهش أن الحياة لا تتوقف بالكامل في العالم بأسره بعد قصف حي سكني!!..

عمر فليحان

سيارات بنمر امريكية بالقابون، بالعلامة مكتوب عليها: Don't follow me engaged..

فادي زيدان

الشيخ معاذ الخطيب بعد ما قرأ محنة العرب بالأندلس وبعد ما بيّن كم استخارة اكتشف إنو مافي ولا علماني وطني ومحايد بالمعارضة، الظاهر شيخنا خافة عندو نسبة اللايكات وما عم يعرف ينام

خليل يونس

معاذ الخطيب مبعوص لأنو العلمانيين مفطرين وهو صايم.

ريان هبرا

(الجناح العسكري) لحزب الله؟ على أساس هوّي بالأصل نادي لركوب الخيل.

عروة الاحمد

العرصة بضل عرصة ولو طلع ستين مظاهرة.. والآدمي بضل آدمي ولو أبد ستين نظام.. ولا تقول شق الصف أحسن ما شقلك حنكك..

بسمة القوتلي

ما أكثر البعثيون في المعارضة السورية..

باسل حافظ

على حب الله اللي بيعرف سرافيس دالاس ديترويت حرستا القابون من وين بيطلعو بدلنا..

طارق حمدان

ثورتي هذي عروس من الزنج.. عليها كتائب من الشيشاني.. هرب النوم فيها عن جفوني.. هرب الوطنية عن عيون العلماني..
الشيخ معاذ.. الحمداني

مصطفى علوش

لو فكرنا جيداً لما استكثرنا ما جرى رغم فداحته.. نحن السوريين.. كان أحدنا يفني حياته في سبيل الحصول على بيت.. فكم بنا وقد قررنا الحصول على وطن؟!..

باسل الحريري

عبد الفتاح تسي تسي، يريد أن يردي الشعب المصري في غيبوبة " مباركة" جديدة..!!

فادي جومر

قلي: "إنت علماني ملحد بلا أخلاق وما بتفهم وعايش بس لشهواتك.. وأصلاً ما رح ناقشك لأنك بتكره الإسلام".. طبعاً أنا وقتها انتبهت قديش هو بيعشق الإلحاد وقررت ناقشه.. بالكريك..

أحمد ماردیني

- لك انا حاربت بتشرين..
- لك اي شو الفايدة إذا خنتنا بآذار..

ناجي الغضبان

القناص الإدلبي ما بيصيب الواحد غير بطيزو..

لقمان ديركي

- ليش أنت مع الثورة السورية؟!
- لأني كوردي
- وليش هايشين عليك اللي مسمّين حالهن ثوار؟!!
- كمان لأني كوردي!!

مهند فخر الدين

بائع الأسلحة بحلب: القنبلة الما بتفجر بتاخد بدالا..

باسل وطفة

لا يُقال لزياد الرحباني: كول خرى.. بل يُقال: زياد الرحباني أيمت رح تشبع من أكل الخرى؟!..

عائشة عبد الوهاب

مو لازم تكون عميل لحتى تساعد عدوك.. بكفي أنك تكون غبي..

دارا عبد الله

عام 1982، أثناء الاجتياح الإسرائيلي، كان في مكتوب على أحد جدران الضاحية الجنوبية «أهلا بالعدو الصهيوني الغاشم»..

عروة كوستا

يلي بلش يفقد الثقة بالثورة وبحتمية التغيير، يتابع بسراع التلفزيون، بكل ثقة عم تسهب بالشرح عن أنوثتها (وقت كانت بسرا تستخدم انوثتها مع عادل امام كنت أنا صف ثالث ابتدائي)، ونحنا بأقل من 3 سنين عم بهاجما اليأس.

حازم العظمة

هذا الهجوم المتكرر على (مثقفين) أو (المثقفين).. الذي ما زال يتكرر.. بدون تحديد من هم هؤلاء (المثقفين).. أقل ما يقال فيه أنه مديح للجهل.. فالجهل هو عكس الثقافة.. وما من شك في ذلك.. الهجوم الشعبوي - أيضا الشعبوي أكيد - على الثقافة والمثقفين.. يحوز على إعجابات كثيرة.. أيضاً أكيد.. لكنها إعجابات من يناسبهم أو يعجبهم الجهل والعماء.. وهذا أفظع..

عبود سعيد

ما أسخفك حين تقولين: اللّه محبي الجيش وأنت مازلت تدفعين فاتورة الماء وتشترين الطوابع ولم يسقط في مدينتك أي شهيد..

خالد نصار

بحترم سامر رضوان وما بتمناله غير كل خير.. بس إنو هيك خطرلي شو ساوي: هلأ اعتقاله الأخير جزء من سيناريو المسلسل ولا مادخل؟..

طلال مظهر

ملك بلجيكا الجديد يقسم بلغات ثلاث "الفرنسية والألمانية والهولندية" للحفاظ على وحدة أراضي الوطن.. في سوريا يقسمون وبلغة وحيدة (الأسد أو نحرق البلد)!!..

مجد جدعان

الشيء الوحيد الذي وحدونا به.. هو الوجع ودماء الأبرياء.. سيناريو مرعب سلاحه نفس أساليب محاربة الإرهاب.. صار الوجع وجعين.. وجهاز إدارة البسطار واحد.. يا رب رحمتك.. ما عاد في محل بالرأس بتسع لضربات أكثر.. يا رب رحمتك.. يا رب رحمتك..

نائل حريري

حاسبوا من دفع شبابكم للقتل.. حاسبوا من تبايعون حذائه صباح مساء.. حاسبوا إعلامكم الذي يقي يقول أن البواسل نفذوا وأقاموا كمينا.. وقتلوا أبو فلان الأفغاني وأبو علان السعودية في عملية ناجحة.. حاسبوهم.. فقد أعادوكم إلى انتصارات 67 على إذاعتي القاهرة ودمشق يوم باع كل قائد جيش جنوده واكتفى بالهروب.

كيف تنتصر الثورة السوريّة؟!!

في الجانب الذاتي..

حرف ثورة الربيع السوري (و الذي هو امتداد لثورة الربيع العربي 2011 كما يعلم الجميع) عن مسارها الوطني الديمقراطي، وعن مضامينها السياسيّة والاجتماعيّة والحقوقيّة الحقيقيّة الأولى، باتّجاه صراع على «هويّات «ما قبل وطنيّة (دينيّة وطائفيّة ومناطقيّة وعشائريّة.. الخ) على يد القوى السوريّة الأصوليّة الانتهازيّة ؛ هو ما أعاق تقدّم الثورة وأخّر انتصارها.. وهذا بالضبط ما يجب العمل على تصحيحه اليوم، وعلى نحو حاسم..

لتتفق القوى السياسيّة الوطنيّة السوريّة المعارضة اليوم، على «ثوابتنا «الوطنيّة كسوريّين نلتزم بها جميعاً أفراداً ومؤسّسات ؛ وتعمل على العزل النهائي لمن يشذ عن الإجماع الوطني خطاباً، أو ممارسات على الأرض.. وأوّل تلك الثوابت، مدنيّة الدولة السوريّة وديمقراطيّتها.. وحدة سوريا أرضاً وشعباً.. أمن حدودها واستقلال قرارها الوطني.. السّلم الأهلي والأمن الاجتماعي للسوريّين.. حقها في استعادة أرضها والأراضي العربيّة المحتلة كلّها، وفق ما نصّت عليه قرارات الشرعيّة الدوليّة ذات الصلة.. تشكيل جماعات مسلحة « ميليشيات « خارج نطاق جيشها الوطني بما يُهدّد أمن مواطنيها ويعرّض مصالح سوريا العُليا للخطر، وتحت أي مبرّر أو عنوان، خطّ أحمر وقضيّة من قضايا السيادة الوطنيّة أيضا.

هذا هو نصف الطريق إلى انتصار حاسم وسريع على النظام، ستصبح بعدها بقيّة القضايا تحصيل حاصل.. باعتقادي. إحراز الإجماع الوطني على الثورة ؛ وكسب تأييد الرأي الشعبي العام العربي والعالمي، لثورة شعبيّة وطنيّة ديمقراطيّة في سوريا ؛ هو أقصر الطرق إلى انتصارها.

أنس العربي

عائد على الوعد يا فرات

لم تكن تتجمل كالفتيات، لا تضع مساحيق التجميل، تربط شعرها حيثما اتفق.. وكتفها الاسمر الذي يأبى الحشمة، ما ينفك يقتلني، في لمعة الشمس والقمر.. تضع عطرا خفيفا.. لا تستطيع أن تشمه إلا إذا اقتربت.. ومن يجرأ على الاقتراب؟!؟!

كانت أجمل من كل الفتيات، فهذا العنفوان.. يجعل منها شهية.. جميلة.. لأبعد الحدود..

- فهل لي بغمرة «بسيطة» قبل أن أسافر؟؟

نظرت إلي.. واكتفت بترك وجهها دون ملامح..

لم أفهم يومها، ما تعنيه هذه النظرة، فنحن الشبان لا نفهم من الفتيات الطاهرات شيئا.. دناوة افكارنا لا تفهم خجلهن أبدا..

فاعتبرتها.. رفضتني..

ثم وفي الطائرة، فكرت.. «هل كنت أنتظر منها أن تقفز على صدري مثلا؟! آه كم أنا غبي!! «

وأصبحت تبتعد عني، كما يبتعد قاسيون.. بعد أن اكتفت بهذا الوداع البارد، مع أن كل شي كان يغلي.. النار والمدافع.. اسعار الخبز والبانزين.. كل شيء يغلي.. إلا عينيها.. كانتا باردتين حد الموت..

ثم أدركت - بعد أن قتلتها بغبائي - بأنها تمنت الموت في لحظة وداعي الأخير.. إلا أني لم أكن أرى أبعد من حدود أنفي..

أقسمت في الطائرة.. سأعود صغيرتي..

ولن يغمرك غيري..

فاحذريني.. احذري شوقي لك..

ضحى عزام الفياض

مـــرآة الطِـــيب

وقف المسـافر عند أعلى تلة حين وصـل نهاية مطاف ترحاله فـي أرض المهد، وتنهد ألماً وحزناً وهو ينظر الأفق الذي ينحسـر فوق تلـك الأرض. لكن ريحاً هبت في أقصى الشـمال ومرت عبر فتـاة كان ينطـق قلبها بما آنـس الريح وأسَّـرها وجعلها ترقص ولعدة أزمان حولها. ثم واصلت مسـيرها حاملةً رسالة من رقصت حولها حتى أدركت أقصى الجنوب حيث تلك التلة، وحيث كان يقف المسـافر عاجزاً هناك لتسـمعه ما حملت إليه. ثم خَطى المسافر خُطـى الترحـال تارة أخرى ليعمـل بما تعلم من قلـب الفتاة، بأن يكون مرآة الخير للناس تعكس ما خفي عنهم من طِيبهم.

سوريا / ريف حلب / 2012

نصوص وتصوير: باسل حسو

دقق النصوص: ميمونة العمار

كاريكاتير العدد | الفنان عبد المهيمن بدوي

هُنا دِمَشق

■ سيامند حسين

(يوميات ومشاهدات) 26 تموز 2013

(في الدولة الثانية)

في صدر الخيمة كان بضعة رجال يرتدون أزياء لا تنتمي لفلكور المنطقة، ولا حتى لأي منطقة أخرى في البلاد، واحدٌ كان يخطب واقفاً وينهال على الحشد بأبتسامة الذكيّ يستعطف الوقت ويتصدّق بالشروحات. على وجوه الرجال القليلين كانت طبقات من القلق الممزوج بالملل تهيم تحت ظلال المساء المتحدة في وجه الشمس الآيلة لمخدعها الأزلي. وكان لهوُ الصبيّة وضحكهم المكتوم يصفع حرج المستمعين من البالغين، وبيد أقوى يصفعُ رجولة ومطامح أولئك الصامتين في صفٍ واحد تحت الخيمة الكاكيّة. ثلاثة انزلقت أجسادهم قليلاً لتغوص في كراسي البلاستيك البيضاء، وتبرز بطونهم المنتفخة في دلالة مُفتعلة على الرفعة والمنصب، خلف طاولة غطّتها نُسخٌ من صفحة الدستور الوحيدة، المَوسُومة بعبارتين وحيدتين. أحد الحراس على الأطراف يهمس لأحدهم باسماً، بينما يُومئ ذاك برأسه موافقاً دون أن يلتفت. كان الصبية أكثر من الرجال في ذلك الاجتماع المنصوب على هامش حياة آخرين من سكان الحيّ، يظهرون في المشهد البعيد وهم يُطاردون شؤوناً يوميّة عادية.

اقترب ابراهيم من جمع الناس المحيطين بنصف الخيمة المستطيلة في الساحة، وانسلّ بين الأولاد والنساء ممن بقوا واقفين في الخلف بعد أن شغل الرجال والشبّان وصبيةٌ آخرون الكراسي. كان يبحث عن والده، ولم يكن قد جاء مجذوباً بالفضول كما في اليوم الأول. شاهد أباه متكئاً يُنصت للشاب رشيق الحركة، الذي كان من وقت لآخر، وليُوقظ الناعسين، يُرسل أصابع التكرار إلى مسامعهم، فتهبّ حناجر الصبية اليقظة بصياح حادّ هاتفة وراءه، وتخفق الرايات السوداء فوق رؤوس الشبان والرجال، فيعتدلون ويرفعون رؤوسهم مُحملقين بانتباهٍ منصتين.

بعد انفراط الاجتماع -وكان الخامس عشر-، جُمعت الكراسي وأُخليَ المكان في غضون دقائق، بينما التمّ بعض الرجال حول المتربّعين تحت الخيمة، وما لبث أن رحلوا جميعاً. كان الأب ينتظر ابنه ليذهبا معاً إلى السوق، وقف ابراهيم أمام أبيه، القصير نسبياً، وقد جاوزه طولاً وسأله بعد أن صافحه:

- «متى سيعود أخي الكبير؟ مضى على غيابه ستة أشهر. هل استشهد؟»

- «لا أعرف». يجيب الأب بكسلٍ وقد ألقى من عينيه الموشكتين على الخروج من محجريهما بنظرةٍ رنت نحو البعيد، ملامسةً كنسر سطح كتف ابنه الأيسر.

- «وما الذي يريدونه هؤلاء يا أبي؟»- قال ابراهيم مُشيراً برأسه في حركة مائلة إلى الخلف.

لم يجب الأب، وصمت شارداً كمن لم يسمع. خطى نصف خطوة إلى اليسار ثم غادر تاركاً ابنه، خلف ظهره، لمتاهات المراهقة تشغله بجدرانها المتشابهة.

-«... هناك انتخابات في بعض البلدات. -يصمت لثوان- الناس غاضبون منكم. الناس يموتون في كل مكان، حتى في المخيمات. ثم إن الناس ما زالوا يخرجون...»- سكت ابراهيم. فقد توقف والده عن المشي دون أن يستدير أو يلتفت. بدا الظل الغارب للرجل طويلاً بلا نهاية، حاذى في عبوره إلى الخلف قدميّ الفتى المتلاصقتين. لقد زعزعه خوف من غضب تخيّله يحتقن سريعاً في وجه أبيه وكفيّ يديه اللتين انغلقتا قليلاً. لكن الرجل استأنف سيره شاحذاً، بتناوب ثقيل، كعبي خُفيّه الصيفيّين بالأرض الترابية.

انتظر الفتى أن ابتعدت الدراجة النارية التي اخترقت الساحة الفارغة راسمةً ضجيجها موجاتٍ بغيضة على وحدهما، ثم أخذ نفساً عميقاً اقتحم رئتيه المرتعشتين من خَفق قلبه المُتهيّج:

- «عندما يعود أخي سأخبره أنّك تضرب أمّي. لن يسمح لك بذلك..».

هرب راكضاً باتجاه البيوت وهو يتمتم بصوتٍ خنقه البكاء في حنجرته قبل أن يتذوّق الهواء: « لن أسمح لك. لا».

(صورة ناقصة)

التقطنا مئات الصور الفوتوغرافية في مدينة الرّقة. رصدنا الفجر المتقدم تحت جناحي عصفور، والنقط الذهبية الملتمعة على جناحي ذكر النحل، الذي أقلّق زهرات الريحان البيضاء الصغيرة، في ظهيرة شديدة الحرّ-رويتُ لصديقتي ريما، المصورة، كيف كنّا نصطاد ذكور النحل على صنبور المياه في فناء الدار، ننصب لها قطرات الماء فخاخاً بخيلة في جحيم العصر، حيث يختفي الكبار وتختفي القطط والفراشات والعقارب في هدنة القيلولة مع الحرّ- ، ورصدنا غيمة وحيدة ناصعة تجمدت طويلاً مُحتفلةً بغياب الريح -على الأرجح بقيت هناك حتى ابتلعها سواد الليل لاحقاً-. والتقطنا ابتسامات الناس، ودهشتهم، وتعبهم، واحتجاجهم، وحتّى أرقهم. راقبنا لامبالاة الأولاد، والعابهم، الشقيّ منهم والمسكين. وأمسكنا بلحظات المساء الأخيرة تسطو على الطمأنينة، وتُشرّع طرق السماء للخفافيش المتحررة من حجورها في شقوق الجدران والأسطح. وثّقنا الكثير من العبارات المكتوبة على جدران المصانع والمدارس وعلى ستائر إغلاق الدكاكين المعدنية؛ والعديد من الرسومات والغرافيتي المنسوخة على أسطح مهدمة.

رحنا نُقلب الصور ونُعلّق عليها بين الحين والآخر مُستدعين الأصوات والروائح التي كوّنت، إلى جانب الضوء والمادّة، محتوياتها. في المجموعة الأخيرة التي ضمّت صوراً أخذتها ريما في مدرسة ثانوية قُصفت أجزاء منها بعد انسحاب الجيش من المدينة، وقفنا عند صورة للسبورة الكلاسيكية في إحدى قاعات الصفوف وقد تدلى فوقها إطار خشبيّ فارغ. كان اللوح الأخضر نظيفاً تماماً، بينما على الجدران كانت تتنازع عبارات مُسيئة وأخرى يفوح منها التهديد لجنود قدامى، وردود تطغى عليها اللغة الدينية وعبارات الوعيد لجنود جُدد طردوا أولئك السابقين. في ركن القاعة الخلفي بجانب النوافذ المحطمة نجتْ بعض المقاعد سابقاً من محرقة الخشب في مواقد الشتاء؛ اتجهنا صوبها نرفع عنها الحجارة وشبك النافذة المعدني الذي سقط عليها. دققنا النظر بعد أن مسحنا عن سطحها الغبار المتراكم، فعثرنا على كلمات وعبارات تدور في معانيها حول الثورة والنضال، حفرها الطلاب بأدوات حادّة تارة وكتبوها بأقلام الحبر تارة أخرى. بدأنا فجأة نُميّز مقاطع وقصائد كتبت بخط أصغر. كانت قصيدة للشاعر الراحل سالم جبران: (كما تُحبّ أمّ طفلها المشوّه/ أحبُّها/ حبيبتي بلادي). فاجأنا أيضاً، ما كان غير متوقّع أبداً، فقد تأكدنا لاحقاً أنّها قصائد هايكو يابانية، كان هناك الكثير منها: (المقصّ يتردّد/للحظة / أمام الأقحوان الأبيض)، (يا له من قمر-/ اللصّ يتوقّف/ كي يُغني)، (عددٌ لا يُحصى من البشر/ يكتبون في نار هائلة/ جحيمَ هيروشيما)، ...

بعد أن عدنا إلى بيوتنا، كتبنا على حيطان غرفنا ما سجلناه على عجل، وأضفنا أسماء الطلاب الذين رحلوا بعد ذلك القصف الذي استهدف مدرستهم. قيل لنا أن بعضهم نزح إلى القرى المجاورة، فيما هجر قسمٌ آخر منهم الدراسة نهائياً.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (67624)

دمشق: 5132
ريف دمشق: 15296
حمص: 10537
درعا: 5899
إدلب: 7750
حلب: 10824
دير الزور: 4223
الرقة: 804
السويداء: 48
حماة: 4832
اللاذقية: 799
طرطوس: 303
الحسكة: 484
القنيطرة: 307

5023 عدد الأطفال الذكور
2232 عدد الأطفال الإناث
4623 عدد الإناث
16234 عدد العسكريين
51390 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 27 / 7 / 2013
http://www.vdc-sy.info/

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر